الفصل الثامن

# نمــاذج من السلف الصالح

## أولاً : الامام ابو حنيفة وفلسفته التربوية :

### ١ـ اسمه ونسبه :

هو النعمان بن ثابت ولد بالكوفة سنة ثمانين من الهجرة على الارجح في اسرة كريمة غنية.

### ٢ـ نشأته :

درس أبو حنيفة القرآن الكريم على عاصم بن ابي النجود ، وحفظه وتثقف بثقافة امثاله الاغنياء والاثار والنحو والاداب نشأ بذاته من ناشئة ذلك العصر ولاسيما اولاد حجر الذين لايدفعهم السعي لطلب القوت الى الاعراض عن العلم والمعرفة .

لقد التزم ابو حنيفة بوصية الشعبي للتردد على مجالس العلماء فيذكر يحيى بن ابي بكر : كان ابو حنيفة يقول : مررت يوما على الشعبي وهو جالس فدعاني ، وقال : الى من تختلف ؟ فقلت اختلف الى السوق وسميت له استاذي ، فقال : لم اعن الاختلاف الى السوق عنيت الاختلاف الى العلماء ، فقلت له انا قليل الاختلاف اليهم ، فقال : لاتغفل وعليك بالنظر ومجالسة العلماء فاني أرى فيك يقظة وحركة قال : فوقع في قلبي من قوله ، فتركت الاختلاف الى السوق واخذت في العلم فنفعني الله تعالى بقوله .

وقد اتجه الامام بكليته الى العلم في هذه الحقبة ، وتخصص في علم العقائد حتى بلغ فيه رتبة شريفة ، وكان رفيعاً . لما بلغ الثانية والعشرين من عمره جعل اتجاهه الخاص الى الكتاب والسنة والفهم فيهما ، وهو الذي يسمى بعلم الفقه ، فكان في ذلك الخير الكثير والنفع . ولزم امامنا شيخه حماد بن ابي سليمان ثماني عشرة سنة ملازمة شديدة ، بلا ملل ولا انقطاع . فلما مات شيخه اجتمع على الرأي الى ابي حنيفة اصحاب حماد فقالوا له : اجلس أي للتدريس ، فقال : على ان يضمن لي عشرة منكم ان يلزموني سنة ، قال : فضمنوا له ووفوا ، وكان ابو اسحاق الشيباني ممن وفى له .

## ٣-العوامل الثقافية :

لقد شهدت الاعوام ما بين العشرين والمائة للهجره بداية تحقيق عالمية الاسلام بخروجه من الجزيرة لاقتحام عالم القرن السابع الميلادي بثقافته الهيلينستية وامبراطوريتيه الكبريين البزنطنية والساسانية ، وكان على العالم الاسلامي الناشيء ان يواجه تلك المشكلة الناجمة عن اتساع افاق الامة والارض ، والمشكلات التي تريد اعتزال الفتح السياسي ، ومشكلات التزام الشرع والتعامل مع الفئات المتمايزة وسط منظومة الاسلام الشاملة .

بيد ان اخطر هذا ( العلم ) في مطلع القرن الاول لم تتأت نتيجة الحركة المتسارعة للفتوحات بقدر ما تأتت نتيجة صعوبات التكون الداخلي على المستويات كافة : ولاسيما الديموغرافية ( السكانية )، إذ ظهرت صعوبات جمة في تاسيس الامصار ولاسيما البصرة والكوفة.

## ٤- العوامل الاجتماعية :

لا تزال القبيلة العامل الاجتماعي ليس في البادية فقط ، بل في القرى والحواضر . لذا كان التنظيم الاجتماعي في الامصار قبليا ، وكان لذلك مشاكله الكثيرة .

## ٥-العوامل الادارية والسياسية :

كانت هناك مسألة السلطة في المجتمع الإسلامي التي انقسمت حولها القوى والاراء ، واستقرت السلطة في نظام جديد سمي نظام ( الخلافة ). وبسبب التركيز القبلي والعصبي حدث الانقسام الاجتماعي والايدلوجي .

وقد حل القرن الاول الهجري والنصف الثاني بالذات مسالة تدوين العلم الصالح تقيده وحلت مسالة الوظيفة الاجتماعية للعلم او علاقته بالمجتمع فبسبب من الارتباط الكامل بالاسلام وهو شرعة المجتمع كله – استعصى على الاحتكار والاستئثار وسوء التاويل ، وان مسألة علاقة العلماء بالسلطة اخذت طريقها الى الحل من ضمن المبدأ الذي اقره القرآن الكريم ( مبدأ الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ) اذ جاءت الايات القرآنية لاتؤكد الا ذلك منها ( وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ ) ( سورة آل عمران آية ١٠٤ ) ( تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ) ( سورة آل عمران آية ١١٠) ( يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ ) ( سورة الاعراف آية ١٥٧ ) ( يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ ) ( سورة التوبة آية ٧١ ) .

ان هناك مسألتين رئيستين تركتا اثرا كبيرا في التطور العلمي الاسلامي وهما مسالة علاقة الاسلام بالاطار العصبي للدولة ، ومسالة النهج التربوي للمسلم فيما يتصل بعلاقته بالشريعة والمجتمع والسلطة . ويهمنا ان نسلط الضوء على النهج التربوي ، اذ جرت محاولات تحد لمعالمه في النصف الثاني من القرن الاول عن طريق تدوين السيرة النبوية بشكل شامل بعد ان دونت المغازي لكن الصراعات السياسية التي انعكست في شكل صراعات ثقافية وعلمية في قلب الاسلام وشريعته حالت دون ذلك ، فقد كانت هناك صورة للانسان المسلم على نحو ما يراه الخوارج في علاقته بالجماعة المسلمة والسلطة القائمة . وكانت هناك صورة له عند المرجئة والقدرية في علاقته بالله والشريعة والمجتمع . وكان هناك خلاف حول الاولويات في النهج ، فسلوكية تكون ام البداية عقيدية ؟ ففي حين شدد الامام زيد بن علي وقسم من المحدثين والزهاد من امثال الاوزاعي والفضيل بن عياف وابن المبارك على السلوك انصرف الامام جعفر الصادق ومن وافقه . مثل ابي حنيفة وسفيان الثوري ومالك بن انس الى ابراز الناحية النظرية الفكرية للنهج التربوي بوصفها الاهم والاولى بالاعتبار ، هذا على اختلاف بينهم في التفصيل . وعندما خلف ابو حنيفة النعمان بن ثابت (ت ١٥٠هـ) شيخه حماد بن ابي سليمان (١٢٠هـ) في حلقته مجامع الكوفة كانت هذه المسألة الى جانب المسائل الفقهية الجزئية ، شغل العلماء الشاغل ، ذلك انه وسط المتغيرات الكثيرة التي كانت تواجه المجتمع والسلطة واوساط العلم بالكوفة والبصرة وكان من الواضح ان النهج الواحد التربوي الواضح للانسان المسلم هو الكفيل وحده باصطناع توافق بين المسلم وعالمه بلا زعزعة علاقته بشريعته أو مجتمعه . وانه كفيل باستمرار اسلام الدعوة المتاسس على السلوك التربوي للجماعة الإسلامية وافرادها .

# ثانيا: مؤلفات (ابو حنيفة ) :

ترك ابو حنيفة تراثا ضخماً من المؤلفات في فقه المعاملات والعبادات ، وفي السير وقضايا الديوان . ويمكن تسليط الضوء على فكره التربوي من خلال رسالته ( العالم والمتعلم ). ورسالته الى عثمان البتي ، والفقه الابسط والفقه الاكبر والوصية ولابي حنيفة في فقه السلوك او السلوك الاجتماعي للعالم وصيته الى تلميذه ابي يوسف وقد لاحظ معظم الذين درسوا الثقافة الإسلامية انها اتسمت بالطابع الفقهي ( فقه العبادات ، وفقه المعاملات ، وطريقة السؤال بحد ذاته على ثقافة الإسلام منذ القرن الثاني الهجري ، رؤوا ان الوضع كان مختلفا في حقبته الاولى ، وقالوا ان اهتمامات ابي حنيفة الفكرية والمتكلمين بشكل عام تدعم هذا الرأي .

وهناك امر اخر يبدو في رسائل ابي حنيفة ويتصل بالشكل بالذات ، فالملاحظ ان هذه الرسائل مؤلفة على طريق السؤال والجواب ، ثم تقسم وتدرج من البساطة والوضوح الى الاكثر صعوبة وتعقيداً . والواقع أن هاتين السمتين تظهران في اكثر الرسائل والكتب المعاصرة لابي حنيفة او التي الفت خلال القرن الثاني كله .

# الفلسفة التربوية عند ( ابو حنيفة ) :

**يبدأ ابو حنيفة رسالته الى المتعلم بايضاح ثلاثة امور منهجية :**

**الامر الاول : ضرورة النظرية .**

**الامر الثاني : ضرورة التجديد من طريق الاجتهاد .**

**الامر الثالث : معنى الجامع للاسلام .**

**ففي مجال ضرورة النظرية في التربية قال : ( اعلم ان العمل تبع للعلم كما ان الاعضاء تبع للبصر . فالعلم مع العمل اليسير انفع من الجهل مع العمل الكثير ، مثل ذلك الزاد القليل الذي لابد منه في المغازي مع الهدايه . بها انفع من الجهاله مع الزاد الكثير ، ولذلك قال تعالى ( قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ ) ( سورة الزمر آية ٢٩ ) ويتصل هذا الادراك لاهمية النظرة الشاملة للقضايا بالنسبة لعدّها المقدمة الضرورية للعمل في الاسلام ، " انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرئ ما نوى .." ( ثم بالمنثورات الماثورة التي عرفت في البيئة العراقية ابان مطالع القرن الثاني الهجري لاسيما ترجمات ابن المقفع وغيره من الفارسية وغيرها ففي احدى هذه الماثورات المنسوبة الى ابقراط " العلم روح والعمل بدن والعلم اصل والعمل فرع والعلم والد والعمل مولد ..." وفي مأثوره اخرى " ان العلم اصل وان القوة فرع وان العلم روح وان القوة جسم ..." ولعل ابا حنيفة الذي يدافع هنا عن المساله النظرية في الاسلام التي أطلق عليها اسم ( العلم ) لم يكن يفعل ذلك لدوافع موضوعية فقط تتصل بصحة الرواية النظرية مقدمة للعمل ، بل كان يرى في " خضم الضلال في العمل " وفي اوساط مختلف المذاهب الدينية والسياسية ان الوضوح النظري عاصم عن كثير من أسباب الخطأ في التصرف والخطل في الفكر ، واتباع هذه المذاهب يسمون من جانبه ومن جانب تلميذه ابي مقاتل " والاحناف من امتاز الحكم للمبشرين . وكانت جماعات من هؤلاء الاحناف ترى في التنظير والمقايسه والمحاكمة العقلين خطرا على الدين ، وترى انه لافائده في الكلام فيما ليس تحته عمل " ذلك ان هذا كله في احسن حالاته ليس اكثر من تمهل يدخل في باب اداء الكلام في الدين بالراي لكن ابا حنيفة كان يرى في التشرذم الديني الموجود في بدايات الصراع مع السمنية والمانوية . وبعض الثقافات القديمة الآخرى في الشام والعراق وما وراء النهر مستوى عالي مع بقاء الاهتمام بالمسالة النظرية هذه التي كانت يسميها الفقه الاكبر فقه الاصول في المقابلة ( الفقه الاصغر ) ( فقه الفروع ).**

**اما الامر الثاني امر مشروعية اعادة النظر والتفكير امر يتحدد فان ابا حنيفة يواجه فيه اولئك الذين يدعون بشكل عام الى التزام اقوال السلف الصالح ، والتنكر لكل ما لم يجر في ايامهم . انه يقول لتلميذه عندما يواجهك هؤلاء بالقول الا يسعك ما وسع اصحاب النبي صلى الله عليه و سلم قل لهم بل يسعني**

ما وسعهم لو كنت بمنزلتهم وليس بحضرتي الذي كان بحضرتهم ، لكن الامور تغيرت مثل اصحاب النبي صلى الله عليه و سلم وليس بحضرتهم من يقاتلهم فلا يتكتفون السلاح ، ونحن قد ابتلينا بمن يطعن علينا ويستهل الدماء منا فلا نتكلف له سلاما ، ونعد العدة للدفاع عن انفسنا .

وهكذا يرى ابو حنيفة مشروعه الجديد في المتغيرات الشاملة منذ ايام النبي صلى الله عليه و سلم واصحابه ، ومن هذه المتغيرات تكاثر الفرق والخصوم في الدين. وازاء هذه كله لابد من موقف جديد وشامل لانه " اذا كف الرجل لسانه عن الكلام فيما اختلف الناس فيه ، وقد سمع ذلك لم يطق ان يكف قلبه لان القلب من ان يكره احد الامرين او الامرين جميعا . فالعالم لا يستطيع ان يغمض عينه عن ما يجري حوله بحجة ان ما لا يقع عن سمعه وبصره لا يكون هو مسؤولا عنه ، ان معنى ذلك يقع عليك " واسم الجهالة لانك لا تعرف الخطأ من الصواب الثانية على ان ينزل بك من الشبهه ما نزل بغيرك ، ولا تدري مالمخرج منها . والثالث لا تدري من تحب في الله ومن تبغض فيه لانك لاتدري المخطىء من المصيب " الوضوح النظري اذ ليس المقدمة للتصرف الصحيح فقط بل هو المقدمة لكل عمل اجتماعي ذلك انه حتى في حدوده الدنيا تمييز " المخطىء من المصيب بها " يبقى اساس الاختيار والاجتناب ، ومن ثمّ اساس العمل وينطوي هذا التاكيد على بديهية ضمنية مفادها ان العالم المسلم يصبح كذلك ( أي عالما مسلما ) عندما تبدا فاعليته الاجتماعية او كما يقول ابو حنيفة عندما يختلط بالعامة والجمهور ، فليس هناك علم للعزلة ولا عالم لنفسه فقط . ذلك ان الله اخذ على العلماء ان يبينوا العلم للناس ولا يكتمونه فمن كتمه عن اهله " الجم بلجام من النار يوم القيامة ". والعلم الذي يعني الرؤية الشاملة والواضحة ، ويعني الفاعلية الاجتماعية في الجمهور، ويعني الوضوح في التوجه والصدق في تمييز الحق من الباطل والوقوف الى جانب الحق ايضاً . فابو حنيفة يحمل في هذا السياق على اولئك الذين يؤيدون الراي بلا انكار نقيضه اجتماعيا من مثل الاربعة الذين يسألون عن لون ثوب مرئي فيزعم احدهم انه ابيض من غير ان يخطىء الثلاثة الاخرون الذين يرونه احمر او اسود او ازرق .

ويبقى امر ثالث يرى ابو حنيفة انه ضروري لاكتمال مقدمة المنهج الذي يرسمه تربويا للعالم المسلم وهو ان على العالم المسلم ، في ممارسته للدعوة الى الله ان يعرف . " ان الله عز وجل انما بعث رسوله رحمة ليجمع به الفرقه وليزيد الالفه ، ولم يبعثه ليفرق الكلمة ويحرض المسلمين بعضهم على بعض . هذا المعنى الجامع والمؤلف للاسلام يتناول حديث ابي حنيفة السالف عن الاصناف ، ويضبطه ان هؤلاء الاصناف المخطئين يبقون مخطئين ، لكنهم يبقون مسلمين ايضا. ومن ضمن واجبات العالم المسلم ان يبشر ولا ينفر انطلاقا من المعنى الجامع والمؤلف للاسلام . عليه اذن ان يبقي في نقاش معهم في حدود الدعوة للرجوع عن الخطأ وبالحس فلا يتجاوز ذلك الى قذفهم بمقذع او رميهم بالكفر ، وان ظل يؤكد انهم مخطئون . وتصل المسالة الى درجة الخروج من فلسفة الاسلام نفسه عندما يعمد العالم المسلم غفلة او تعمدا الى تحريض فئة

مسلمة على فئة اخرى مسلمة بسبب اختلافه معها او مع علمائها ، الرأي ليس في امر العالم المسلم في خلافه مع خصومه خلافا في الرأي ، ولا ينتقل ليصبح خلافا في الدين ، فان صار كذلك كان العالم نفسه مخطئا خطأً تتفاوت حدود امتداده بتفاوت حجم الضرر الناجم عنه واصراره عليه اوعدمه .

إن الاسلام هو الدين الذي يدعو العالم المسلم الناس اليه ، و يدعو غير المسلمين للدخول فيه ، ويدعو المسلمين للالتزام باحكامه. وعلى العالم ان يعرف ماذا يعنيه الدين بحد ذاته ، ثم ماهو موضعه في العلم وموضعه بالنسبة للاديان والشرائع الآخرى . في هذا المجال يرى ابو حنيفة ان على العالم ان يعرف الفرق بين الدين والشرائع ليستطيع تحديد مكان امته في التاريخ الانساني بشكل عام ، وفي تاريخ الرسالات بشكل خاص . واذا كان الله قد أرسلَ نبيه **صلى الله عليه و سلم** رحمة للعالمين فكيف يتجلى ذلك في الدين الذي بشر به ، وفي الشريعة التي انزلت عليه . يقول ابو حنيفة إن رسل الله لم يكونوا على اديان مختلفة ، ولم يكن كل رسول منهم يأمر قومه بترك دين الرسول الذي كان قبله ، لان دينهم كان واحدا ، وكان كل رسول يدعو الى شريعة نفسه ، وينهى عن شريعة الرسول الذي كان قبله لان شرائعهم كثيرة مختلفة . هناك اذن دين واحد منذ ادم حتى اليوم جوهره او فكرته الرئيسة التوحيد توحيد الله وتوحيد عبيده .

لقد اوصى الله عز وجل الرسل جميعا باقامة الدين وهو التوحيد ، وبان لايتفرقوا لانه جعل دينهم واحدا ( شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا )( سورة الشورى آية ١٣ ) هكذا صور النبي دين الله الاسلام بصورة البنيان الحسن الذي لايشكل فيه هو غير لبنه ، وهذا هو معنى الاسلام الجامع : ( قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ ) ( سورة آل عمران آية ٦٤) لذا مادام الدين واحداً فان اللقاء ممكن بل ضروري ، ولن يكون الدين واحدا ان لم يستطع استيعاب الجميع على اختلاف شرائعهم في عالمه . ان الدين لم يبدل ولم يحول ولم يغير والشرائع قد غيرت وبدلت لانه " رب شئ قد كان حلالا لاناس قد حرمه الله على اخرين ....." هذا هو اذا معنى كون النبي رحمة انه جاء لاعادة توحيد العالم في ظل الدين الواحد مع ادراك اختلاف الشرائع باختلاف الانبياء . صحيح ان القرآن ( مهيمن ) على الشرائع السابقة لكن الوحدة التاريخية للدين والاختلاف التاريخي للشرائع يفتحان للمسلم افاقا جديدة في التعامل مع عالمه ومع مخالفيه في مجتمعه من المسلمين وغيرهم ان عليه ان يدعو لمذهبه وشريعته ، وعليه ان يحرص على انتصارهما اجتماعيا لكن خلافه مع مسلم اخر لا ينبغي ان يخرج عن حدود الخلاف ضمن الدين الواحد والشريعة الواحدة . أما خلافه مع المسلمين مثلا في مجتمعه فلا ينبغي ان يخرج عن حدود الخلاف في

نطاق الدين الواحد . هكذا تبقى الوحدة في الدين هي الفكرة الاجتماعية الاساسية كما هي الفكرة التاريخية الاساسية فيكون عامل الانسان المسلم كما كان في الماضي رحب الافاق في الحاضر والمستقبل ، ويؤدي ذلك الى سيادة نظرة جديدة في علاقاته بتاريخه وحاضره الاجتماعي ومستقبله الديني . ان محمدا صلى الله عليه و سلم ليس حديثا في العالم ليس ابن القرن السابع الميلادي ، بل هو استمرار لمئات القرون قبله في كون دينه هو الدين التاريخي للبشرية كلها . فالذي يتبع دين محمد انما يدخل نفسه وبحرية في المجرى العام لتاريخ ذلك المجرى هو خلاصة تجارب البشر على هذه الارض في تعاملهم مع الرسالة الالهية الواحدة .

اذ حدد المسلم موقعه في التاريخ في الجانب العام من الدين ياتي الجانب الاخر الجانب الداخلي هو الايمان . وابو حنيفة يرى ان الايمان هو التصديق والمعرفة والتعيين والاقرار والاسلام ، وعندما يضج ابو مقاتل ويشكو كثرة الاسماء يقول له ابو حنيفة ( ٢١ : ١٤ ) ان هذه اسماء مختلفة ومعناها واحد هو الايمان وحده ، وذلك بان يقر بان الله ربه ، ويتيقن بان الله ربه ، ويعرف بان الله ربه . فهذه اسماء مختلفه ومعناها واحد ، كالرجل يقال له يا انسان ويارجل ويا فلان وانما يعني القائل بها واحدا ، وقد دعاه باسماء مختلفة . الايمان في نظر ابي حنيفة هو التصديق اذن ، وهو بذلك يخالف عدداً من الفرقاء يجعلون العمل جزءا من الايمان ، ولهذا يخرجون غير العامل منه ، ويقولون تبعا لعمل العامل : إن الايمان يزيد وينقص ولهذا قد سموا ابا حنيفة مرجئا لانه يرجئ العمل عن الايمان واشتدت هجماتهم لذلك ، في حين يبدو ان ابا حنيفة توصل الى هذا الراي في سياق صراعه مع نظرة الخوارج الى سلوك المسلم ، فقد اخرجوا بعّدهم العمل جزءا من الايمان اكثر المسلمين من حضيرة الاسلام ، واستباحوا قتلهم بحجة ان كلا منهم ارتكب هذا الذنب او ذاك ، وهكذا لم يعد مسلما .

اما ابو حنيفة الذي كان يرى ان الاسلام اصله الاساسي ( الجمع والتوحيد والتاليف ) فقد كان يريد للعالم المسلم في سلوكه بين الناس ( ان يامر بالمعروف وينهى عن المنكر ) من غير ان يكفر احدا من الناس بذنب وان يظل الباب مفتوحا للمسلم من طريق الدعوة والارشاد للعودة الى اداء الفرائض التي اهملها والجماعات التي ابتعد عنها لسبب او لاخر . في مقابل هذا يريد ابو حنيفة للعالم المسلم ان يشيع الثقة بين المسلمين عن طريق بعث ثقة كل منهم بنفسه . فالمسلم ان كان مصدقا بوحدانية الله وشريعة النبي يستطيع ان يقول انه ( مؤمن ) منتمٍ الى جماعة المسلمين بما يعطي له هذا الانتماء من حقوق ، وما يرتبه عليه من واجبات . وقد كان فقهاء اخرون يؤثرون ان يقال انا مؤمن ان شاء الله . وقد راى ابو حنيفة في هذا تمهلا لا ضرورة له ولا فائدة غير اثارة الشكوك والفتنة بين المسلمين ان الانسان المقيم على ارض الإسلام يصبح مسلماً عضوا في جماعة المسلمين عندما يرى هو باختياره انه مؤمن ، ولو عمد العالم في المجتمع الى محاسبة الناس على مدى ايمانهم لافسد حرية الاختيار ، والمعنى الجامع والمؤلف

والموحد للاسلام . ويعني هذا في النهاية انه لا يستطيع احد ان يزعم التقدم على الاخرين في الايمان ما دام الايمان هو التصريف والتصديق ، ولايمكن ان يتجزأ او يزيد او ينقص . والعالم المسلم في المجتمع المسلم ليس افضل ايمانا من اناس العاديين . وهكذا فإن عليه ان يضع هذا كله في حسابه عندما يتحرك اجتماعيا ، فإن اعتقد غير ذلك فما الذي يفعله في النداء القراني الى اهل الكتاب ان لا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله . و يرى ابو حنيفة أن الفقه في الدين افضل من الفقه في الاحكام ، ولان يتفقه الرجل كيف يعبد ربه خير له من ان يجمع العلم الكثير.

ان العلم في نظره هو الذي يعلم ( الايمان بالله تعالى والشرائع والسنن والحدود واختلاف الامة واتفاقها ). واذا كان قد اوضح في القسم الاول من رسالته الى المتعلم مسالة الدين والايمان فانه في الرسالة نفسها وفي الفقه الابسط يدرس مسالة الشرائع والسنن والحدود واختلاف الامة واتفاقها . وهو يرى في هذا المجال ان على المتعلم ان يعرف اصول الحق او مصادر المعرفة ، وهي في ذلك اربعة كتاب ناطق ، وخير، ومجتمع عليه، واجتهاد قياس ، واجماع صحيح ، انها الاصول المعروفة تاريخيا . لكن لابي حنيفة فضل التاسيس تقريبا فيما يتصل بمضامين القياس وحدوده ، وانه يتميز بالنسبة للاخبار بالنص من غيره باخذه بالخبر او الاخبار لمصلحة القياس او الرأي لكن الاذى الكثير الذي ناله من معاصريه بلا تغيير نهجه يدل فعلا على انه كان يعطي القياس على الاصل الموحي موقعاً متقدماً على خبر الاحاد فلا يقدم على القياس من الاخبار الا ما تواتر منها او اجتمع عليه ، ثم انه كان يريد للمتعلم ان يعرف ان الاخبار الثابتة تنقسم الى خاص وعام ، وان النسخ يكون في الامر والنهي دون الاخبار . وقد راى ابو حنيفة ان موجزه هذا حول مصادر التشريع كافٍ كاصول بالنسبة للمتعلم الذي سيقضي سنوات وسنوات على أي حال في تعلم الفقه . ولانه كان يهدف هنا الى وضع اصول نهجه للمسالة فقط فقد يدل الموضوع على مسائل اخرى بعد تقسيمه الخبر الى عام وخاص، ووضع المسالة في نصابها فيما يتصل بالنسخ .

تبقى اداب ابي حنيفة في السلوك الاجتماعي للعالم ان الناس ينظرون الى العالم العامل بين ظهرانيهم بوصفه قدوتهم في كل شيء . ولهذا عليه ان يكون شديد الحذر والمحاسبة للنفس منذ البداية في سلوكه الشخصي والعام . انه يستحب لتلميذه ان كان يريد نذر نفسه للعلم ان ألاّ يتزوج باكثر من زوجة ويستحب له ان يختارها بكرا يتيمة قليلة الاقارب لكي لاتشغله باقاربها وزياراتهم والوساطة لهم فضلاً على ان الاقارب الفقراء للزوجة ( ياخذون امواله ويطمعون فيها غاية الطمع ). ويؤثر للتلميذ ان لا يتزوج ولا يمتهن مهنه الا بعد التحصيل العلمي الاساس . وذلك ان انفع العلم ما كان عنفوان الشباب ووقت فراغ القلب والخاطر لكن ليس معنى ذلك ان لا يهتم للمال . ان عليك ان تجمعه لتستغني به عن وجهاء المجتمع والسلطة وقد قال سعيد بن المسيب (٨٤ هـ) ان السلطان يشجع العالم الغني على انفاق ماله ويؤمله ليستطيع الضغط عليه في وقت عسره .

إنّ العلم هو أعزّ ما في الوجود على قلب العالم ، فلا ينفي ان ينصرف الى المال بعد الكفاية رجاء الثراء اذا دخل في القلب خرج منه العلم . فاذا عَدّ المتعلم عدّته علما ومالا ومنزلا فلينصرف الى الناس مرشدا ومعلّما من غير ان يتوقف على الازدياد من العلم انه في سلوكه الاجتماعي ينبغي ان يتصف بتقوى الله وإداء الأمانة والنصيحة لجميع الخاصة والعامة ، والافضل منذ البداية عدم مخالطة التجار والوجهاء ورجال الديوان فانهم يسيئون الظن بك ويعتقدون ميلك الى أخذ الرشوة منهم . إن عليك ان تلزم العامة والجمهور ، وهؤلاء يريدون منك ان لاتقعد على قوارع الطريق ، بل في المسجد ، وألاّ تاكل في الاسواق ولا تقعد على الحوانيت ولا تلبس الديباج والحلي وأنواع الابريسم ، انهم يعدّونك قدوتهم وياخذون عنك دينهم ويسؤوهم ان يلحظوا تغيرا في معاملتهم أي تعاليا عليهم فان استغاثك احدهم فلا تجب عن سؤاله ولا تضم اليه غيره فانه يشوش عليه ويريد منك الجمهور ألاّ تجالس احدا من اهل الاهواء الا على سبيل الدعوة الى الدين . وأن تسارع الى العامة الى المسجد فور اذان المؤذن وتريد منك العامة أن تقصّ في المسجد القصص هنا عليك ان تخالفهم ، فإن القاصّ لابدّ ان يكذب . وقد تضطرك ضرورة باجتماع بذوي الجاه والثراء في مثل هذه الحالة عليك ان تصرّ على الامر بالمعروف والنهي عن المنكر أيّا كان الاعراض والاستهتار . ان الله معينك وناصرك وناصر الدين ، فاذا فعلت ذلك مرة هابوك ولم يتجاسر احد على اظهار البدعة في الدين وواجبك الاول لكي تظل فقيه الجمهور ان تتجنب السلطان ولو كان عالما عادلا ، لكن الضرورة لابد ان تقودك رعاية لمصالح الجمهور او استدعاء منهم للاجتماع به . ان عليك في مثل هذه الحال ان توقره وألاّ تكثر الكلام بين يديه ، ثم لا تكثر التردد عليه صيانة لعلمك ولمنزلتك عند العامة . ثم عليك ان تحرص ان احتجت اليه إن تكون صلتك به هو لا بحاشيته واعوانه الذين يتصارعون على الاقتراب منه ، وقد يستخدمونك في صراعهم دون ان تشعر فان استفتاك فلا تفته الا بما تراه حقا وصحيحا في الدين والفقه فاذا صادف ان جرى في مجلسه ما يخالف الدين فلا تسكت ولا تغلظ ولكن قل له اني اذكر من سيرتك ما لا يوافق العلم . وابو حنيفة يرى ان العالم اذا اكثر ذلك في مجالس السلطان اعرض عنه واراحه من زيارته او التردد عليه ، وذلك خير له او الاستماع الى اقاصيص العامة عن " رؤياهم للنبي **صلى الله عليه و سلم** ورؤيا الصالحين في المنازل والمساجد والمقابر افضل من الجلوس بمجلس السلطان ولو للامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ومواطن العلم بعد بيته المسجد الجامع هناك تاتيه العامة والاستفتاء والاستماع ، وهناك يعبد ربه ، وهناك ينشيء حلقته لطلابه فاذا كان العالم غريبا عن المدينة أو المصر الذي يتخذ من جامعه مقرا له ، فإن عليه ان يتعرف علماء المصر ويوقرهم ويطمئنهم الى ان العلم ثمين حتى لا يشعروا انه ينافسهم في جاههم او مصالحهم ، ولهذا فإن عليه ان يرفض بداية عروض السلطان للعمل معه في القضاء او في غيره حتى لاينزعج علماء المصر.

ويرى ابو حنيفة ان تلامذة العالم في حلقته اسرته الحقيقية ، فاقبل على متفقهيك فانك اتخذت كل واحد منهم ابنا وولدا فيزيدهم هناك رغبة في العلم

**ولأنهم أسرته فإنّ اهتمامه بهم يتجاوز حلقة المسجد الى منازلهم ، فان انس من بعضهم ذكاء وورعا ورغبة في الاستمرار ان يرعاهم حتى يتخرجوا ، وعليه ان يقيم للمبرزين منهم حلقة بجانب حلقته وباشرافه للتدريب ، ثم ان عليه ان يثني عليهم بين الناس ليحسن ظنّهم بهم فيقبلوا عليهم .**

**لقد كان ابو حنيفة يرى ( ان العلماء ورثة الانبياء ) ، لذا هم طليعة المجتمع . وقد اعتقد ان منهجه التربوي النظري والعملي كفيل بتنشئة العالم المسلم القدوة الذي يكون صورة كاملة للانسان المسلم ، وربما كانت هذه الصورة التربوية الأنموذجية اول الصور من هذا النوع في حقب الاسلام الاولى .**

# ثانياً : الامام الغزالي ٤٥٠ـ ٥٠٥ هـ / ١٠٥٨ـ ١١١١م

" الغزالي المفكر الإسلامي الكبير الذي يمثل جهده العقلي انبعاثاً يعبر عن الروح الحضارية للأمة العربية الإسلامية . فقد فهم روح الدين واتجاهه واحاط باصوله وقضاياه الفقهية ، واغناه بارائه الفكرية والفلسفية النافذة . وقد كتب فيه المحدثون مؤلفات لا سبيل إلى احصائها في مختلف اللغات من اقصى الشرق إلى اقصى الغرب ، ولقد نشرت مؤلفاته وترجمت إلى لغات اسيا و اوروبا ".

## اسمه ونسبه :

محمد بن محمد بن محمد بن أحمد أبو حامد الغزالي الطوسي ، ومن المرجح أن تسميته الغزالي ترجع الى مهنة والده وهي غزّال الصوف ، وقد ذكر ذلك ابن خلكان ، اذ قال بصدد كلمة الغزالي " انها بفتح الغين المعجمة وتشديد الزاي المعجمة ، وبعد الالف لام و هذه النسبة الى ( الغزال ) فيقولون العطاري وينسبون الى العطار، القصار فيقولون القصاري ".

ولد الامام الغزالي بطوس من اعمال خراسان وقد اتفق اغلب المؤرخين ان ولادة الغزالي كانت عام ٤٥٠ هـ.

## نشأته :

كان والد الامام يغزل الصوف ويبيعه في دكانه بطوس ، فلما حضرته الوفاة وصّى به وبأخيه أحمد الى صديق له متصوف من اهل الخير ، وقال له إن لي لتأسفاً عظيماً على تعلم الخط ، واشتهي استدراك ما فاتني في ولدي هذين فعلمهما ، ولا عليك ان تنفذ في ذلك جميع ما اخلفه لهما ( ٣٦ : ٤،١٠ ) فلما مات الاب اقبل الصوفي على تعليمهما الى ان فنى ذلك النزر اليسير الذي كان خلفه لهما ابوهما ، وتعذر على الصوفي القيام بقوتهما فقال لهما : اعلما أني قد انفقت عليكما ما كان لكما ، وانا رجل من الفقر والتجريد بحيث لا مال لي ، فاواسيكما واصلح ما ارى لكما ان تلجئا الى مدرسة فإنكما من طلبة العلم ، فيحصل لكما قوت يعينكما على وقتكما ، ففعلا ذلك ، وكان هو السبب في سعادتهما وعلو درجتهما .

درس الغزالي في صباه الفقه على يد الامام احمد محمد الراذكاني ، وكان ذلك في سنة ٤٦٥ هـ/ ١٠٧٣ اذ كان عمره خمس عشرة سنة ثم سافر الى جرجان ليدرس على يد الامام ابي قاسم بن مسعود بن اسماعيل الجرجاني خمس سنوات وبعد خمس سنوات أي في سنة ٤٧٠ قدم الامام نيسابور ليدرس على يد امام الحرمين ايجاد المعالي الجويني . وقد ظهرت بوادر النبوغ السريع على الغزالي فأظهر الجويني عناية خاصة به ، فضلاً عن بعض طلابه فيذكر السبكي " وكان امام الحرمين يصف تلامذته فيقول الغزالي البحر المغدق . وصف الغزالي في حياة استاذه الجويني في كتابه المسمى بـ ( المنخول ) فقال له " دفنتني وانا حي هلا صبرت حتى اموت " واراد القول بان : كتابك قد غطى على كتابي ومنذ ٤٨٤ هـ / ١٠٩١م اصبح الغزالي عميد مدرسة النظامين في بغداد ، وبعد ان انتشر علمه في الافاق ، وبعد اربع سنوات قضاها في التدريس زهد في الدنيا ، وآثر العزلة ، ورجع الى البلد الحرام حاجاً وباحثاً عن الحقيقة ليتوجه الى الشام ، واقام فيها نحواً من عشر سنين ، وآخذ يجول في البلاد ليرجع الى بغداد ، ثم عاد الى خراسان ، ودرس بالمدرسة النظامية بنيسابور ، ثم رجع إلى مدينة طوس ، واتخذ الى جانب داره مدرسة للفقهاء وخانقا للصوفية وكانت وفاته بطوس في يوم الاثنين الرابع عشر جمادي الاخرة في سنة خمس وخمسمائة .

ترك الامام الغزالي ثروة هائلة بقيت نبراساً يهتدي به طلاب العلم في المشرق والمغرب طيلة عصور امتدت منذ وفاته حتى يومنا هذا . ولم تنحصر ثروته العلمية بكثرة مؤلفاته التي قاربت الثلاثمائة مؤلف بين كتاب ورسالة ، بل بالمنهج العلمي الدقيق الهادي الرصين الذي استخدمه في تناوله الافكار ومعتقدات الفرق المختلفة ، فضلاً عن تنوع انتاجه فقد كتب في الفقه بوصفه فقيهاً ، وألف في علم الكلام بوصفه مصلحاً وداعياً للاصلاح ، وقف ضد الجدل من اجل الجدل ، والتكفير والتحريم بين الفرق الدينية ، وكان حواره معهم محاولة لتجميعهم بدل من تفرقهم ، ولا سيما الامة آنذاك كانت معرضة للغزاة من الأوربيين الصليبيين ، و هم على الابواب وأشهر مؤلفات الغزالي هي : احياء علوم الدين ،

ومقاصد الفلاسفة ، والمنقذ من الضلال ، وتهافت الفلاسفة ، والاقتصاد في الاعتقاد ، ومعيار العلم ، مشكاة الانوار، ورسالة ايها الولد المحب ، والمقصد الاسني .

# العوامل الثقافية

شهد العصر الذي وجد فيه الغزالي حالة من الغليان والاضطراب في كل شيء . فقد تخلص الناس من البويهيين ، اذ كانت نهاية حكمهم على يد السلطان السلجوقي طغرلبك عندما دخل بغداد ، والقى القبض على الملك الرحيم ابو نصر خسرو في سنة ٤٤٧هـ /١٠٥٥م وانتقلت السلطة السياسية بين السلاجقة لأن الخليفة العباسي لا يملك من الحكم الا الخطبة باسمه على المنابر ، والى جانبه السلطان السلجوقي المسيطر على الحكم . وبهذا الصدد يذكر البيروني " أن الذي بقي في ايدي خلفاء الدولة العباسية انما هو امر ديني اعتقادي لا ملك دينيوي . فالقائم الان هو رئيس الإسلام لا ملك دنياوي .

لقد نشطت في هذا العهد الدعوات الباطنية التي كانت تعمل على تقويض الخلافة العباسية من الداخل ، وازداد خطر البيزنطيين من الخارج . ولكن السلطان الب ارسلان استطاع التصدي للحركات الباطنية بالمدارس النظامية التي أسسها الوزير السلجوقي نظام الملك ومع ذلك استطاعت الباطنية ان تقتل السلطان الب ارسلان على يد يوسف الخوارزمي .

وفي عهد السلطان السلجوقي ملك شاه اشتد عضد الحركة الاسماعيلة الباطنية بزعامة الحسن بن الصباح الذي استطاع في سنة ٤٨٣ هـ /١٠٩٠ ان يحتل قلعة الموت قرب اصفهان ، ويحاول القضاء على الخلافة العباسية والحاقها بالخلافة الفاطمية . وأتباع الحسن بن الصباح هم الذين اغتالوا نظام الملك سنة ٤٨٥ هـ /١٠٩٢م ان الجو السياسي المضطرب والفتن والحروب الداخلية بين الطوائف المختلفة ولا سيما عام ٤٨٨ هـ/١٠٩٥ م وهو العام نفسه الذي اعتزل فيه الغزالي التدريس وهجر. أثر في نفسية الامام الغزالي فلم يجد خلالها الا الرحيل والبحث عن الحقيقة لايجاد المنهج الصحيح ، لكونه تربوياً ومعلماً عمل على ايجاد فلسفة دينية صوفية تربوية حاول بها تنشئته التوازن للشخصية الاسلامية واعادتها على وفق الميادين التي جاء بها القرآن الكريم والسنة النبوية .

# الفلسفة العامة عند الغزالي

## ١ . نظرته للوجود :

يقسم الغزالي الوجود في كتابة الاحياء الى اربع مراتب ، وجعل الوجود في اللوح المحفوظ في الترتيب الاول ، إذ يقول : " للعالم أربع درجات في الوجود وجود في اللوح المحفوظ ، وهو سابق على وجوده الجسماني ، ويتبعه وجوده الحقيقي ، ثم وجوده الخيالي ، ثم وجوده العقلي " وفي كتابه مشكاة الانوار يقسم الغزالي الوجود على عالمين ، عالم الملك الشهادة وعالم الملكوت ، إذ يقول : " واعلم أن عالم الشهادة زيادة على عالم الملكوت كالقشرة فضلاً عن اللب ، وكالصورة والقلب زيادة على الروح ، وكالظلمة الى النور وكالسفل زيادة على العلو . ولذلك يسمى الملكوت العالم العلوي والعالم الروحاني والعالم النوراني . وفي مقابله العالم السفلي والجسماني والظلماني . وان الله هو سبب لوجود العالم وقد خلقه بارادته وقدرته ، فيؤكد الغزالي " ان العالم حدث بارادة قديمة اقتضت وجوده في الوقت الذي وجد فيه ، وان يستمر العدم الى الغاية التي استمر اليها ، وان يبتدئ الوجود حيث ابتدأ . وان الله مريد للكائنات مدبر لها ، فلا يجري في الكون قليل أو كثير ، صغير أو كبير خير أو شرير ، فارادة الله في نظر الغزالي شاملة للمخلوقات جميعها من انسان وحيوان ونبات وجماد ، فلا شيء يعجزها أو يخرج على حكمها ويذكر الغزالي مبدأ السببية ، اذ لا يعترف الا بالسببية التي ترجع الى ارادة واختيار تام ومعرفة شاملة ، وهذه الصفات لا تصدق الا على الله ، وإذا كانت الاسباب والمسببات الطبيعية لا تنطوي على تلازم واجب فإن ارتباط جميع حوادث الكون بالفاعل المريد ينقل السببية من المستوى الطبيعي الى المستوى الالي .

## ٢ . نظريته في المعرفة :

عرف الغزالي المعرفة بأنها ( العلم الذي لا يقبل الشك ) ويشبه المعرفة بحرارة النار فيقول : " إذا كان العلم كرؤية النار فالمعرفة كالاصطلاء بها " .

ولقد قسم الامام طبيعة المعرفة على قسمين :

**أ. معرفة النفس ومعرفة الله تعالى :** يشترط الغزالي في معرفة الله تعالى معرفة الانسان لنفسه ، ويذكر ذلك بقوله " يجب على كل انسان ان يعرف نفسه لان معرفة النفس هي مفتاح معرفة الله تعالى ، وذلك استناداً الى قول رسول الله صلى الله عليه و سلم " ومن عرف نفسه فقد عرف ربه".

**ب. معرفة الدنيا والاخرة :** اكد الغزالي ان الدنيا والاخرة لا تختلفان بالنوع ولكن بالدرجة ، فالدنيا قبل الموت والاخرة بعد الموت ، فالموت يفصل بينهما ، وفائدة الدنيا معرفة الله من طريق معرفة قدرة الله فيقول الغزالي " ولا يمكن رؤية الله ما لم تتفتح عيناه ، ولا تتفتح عيناه ما لم يحصل له المعرفة بالله تعالى ، ولا يحصل له معرفة صنع الله تعالى الا بالحواس .

ويفسر الغزالي اصل الادراك عند الانسان من خلال تفسيره للاية الكريمة ( اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لا شَرْقِيَّةٍ وَلا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ ) ( سورة النور آية ٣٥ ) .

ويقسم الغزالي الادراك العقلي وبشكل متدرج من الادني الى الاعلى .

- فالمشكاة رمز للحواس تتلقى ما يفد اليها من انطباعات العالم المحيط بها .

- والزجاجة رمز للخيال ، يحفظ ما تورده الحواس ليعرضه على العقل عند الحاجة .

- والمصباح يعني العقل ويدرك المعاني التي تجاوز حدود الحواس والخيال .

– والشجرة هي المبادئ الفكرية العامة ، اي انها بمثابة القيم التي تقيس عليها الافكار والاعمال ، ولذلك فهي تؤلف بين العلوم المختلفة في وحدة متصلة الاجزاء .

- واما الزيت فو الروح القدسي ، إذ هو الالهام يختص به الانبياء والاولياء ، وفيه تتجلى لوائح الغيب .

## ٣ . نظريته في الطبيعة الانسانية :

وضح الغزالي الطبيعة الانسانية اذ حدد اربعة مسميات و هي القلب والروح والنفس والعقل ، وميز هذه الالفاظ على أساس الوظيفة وليس على اساس طبيعتها لانها كلها لطيفة آمرية . لقد فرق بين النفس والروح ، فالنفس هي الجوهر الذي جمع بين عالمين ، عالم العقل ، اي العالم الالهي و عالم الحس، اي العالم المادي . فالنفس اذن همزة وصل بين عالمين . اما الروح فهي البخار اللطيف الذي ينتشر في جميع انحاء الجسم ويكون سبباً في حياتها وحركتها وبعبارة اخرى ان الغزالي ينظر الى مصطلحات النفس والقلب والروح على انها اسماء لشيء واحد ، و هو جوهر الانسان . فاذا كانت الشهوات طابعه سمي نفسا، واذ كان الصفاء والترفع والانقياد لله صفته سمي روحاً ، واذا كان يتقلب بين الطاعة والمعصية سمي قلباً فالقلب يشير الى عمق الافكار وأبعدها غوراً في طبيعة الانسان ، والروح هي المرجع الاعلى للمعرفة والمسؤولة عن صفات الرؤية والكشف عندما يتحرر الانسان من كل شعور محسوس . والنفس ثلاثة احوال مطمئنة ، أو لوامة أو امارة بالسوء . والعقل يدل على نوع الحركة والمستوى العقلي لتطور الانسان .

وقد ركز الغزالي طبيعة الانسان في القلب ولذلك حدد ثلاثة افعال وهي :

**أ . الارادة** : وهي قوة باعثة الى جانبين ، جانب نافع مثل الشهوة وجانب ضار مثل الغضب

**ب. القدرة** : وهي قوة الاعضاء عضلياً وليس قوة واستعداداً فحسب .

**ج. الحواس** : وهي القوة التي تدرك الاشياء وهي ظاهري مثل الحواس الخمس كالسمع والبصر والشم والذوق واللمس ، وباطني وهي الحس المشترك والتخيل والتفكير والتذكير والحفظ . وان القدرة على المعرفة عند الانسان موجودة في القلب ، والخبرة والمعرفة التي يكتسبها القلب يمكن ان تكمن بالعقل وحالة العقل في الانسان تتوقف على نوع العلاقة التي تقوم بين القلب والشهوة والغضب . ومثل العقل جميع علاقاته الحالية العقلية للروح في الجسد كما يمثل الاتجاه في نموها .

# ثانياً : الوراثة والبيئة

لقد ميز الغزالي الحيوان من الانسان لأن الحيوانات لديها دوافع غريزية في حين ان الانسان يكتسب الدوافع البيئية الاجتماعية . وتتمثل الغرائز عند الغزالي بالشهوة والغضب ، اي الميل الى الطعام والميل الجنسي وانفعال الغضب .

وتستدعى الميول الفطرية وجود مجموعة من الميول والاستعدادات الغريزية المختلفة ، واختلاف الناس فيما بينهم يعود الى اختلاف الاطراز المزاجية ( السمات ). يقول الغزالي " اعلم ان الانسان قد اصطحب في خلقته وتركيبه اربع شوائب فلذلك اجتمع عليه اربعة انواع من الاصناف ، وهي الصفات السبعية والبهيمية والشيطانية والربانية ) وان السمات المحمودة والمذمومة في الانسان تعود الى هذه الاصول الاربعة ، ولكن ذلك مجموع في القلب ، ويجمعها الغزالي في مقولته " فكان المجموع في أهاب الانسان الخنزير والكلب والشيطان والحكيم والانسان يعيش هذه الادوار ، فسلوكه متغير ، اذ يتغير من حال الى اخرى على وفق الموقف ، والتربية هي التي تعدل من سلوكه . ويقول الغزالي بهذا الصدد " والحكيم الذي هو مثال العقل مأمور بأن يدفع كيد الشيطان ومكره بأن يكشف عن تلبيسه ببصيرته النافذة ونوره المشرق الواضح ، وان يكسر شره هذا الخنزير بتسليط الكلب عليه ، اذ بالغضب يكسر سورة الشهوة ويدفع ضراوة الكلب بتسليط الخنزير عليه ويحصل الكلب ، فهو تحت سياسته ، فان فعل ذلك وقصر عليه اعتدل الامر وظهر العدل في مملكة البدن وجرى الكل على الصراط المستقيم ، وان عجز عن قدرها قهروه واستخدموه ، فلا يزال في استنباط الحيل وتدقيق الفكر ليشبع الخنزير ، ويرضي الكلب فيكون دائماً في عبادة كلب وخنزير ، وهذه حال اكثر الناس مهما كان اكثر همتهم البطن والفرج ومنافسة الاعداء .

وبهذا فالغزالي يرى الناس مختلفين في مجاهدة هذه القوى وهم على ثلاثة فرق وهي :

١. من يغلبه الهوى فيملكه ، ويستولي عليه وهو حال اكثر الناس .
٢. من تكون حربه ومجاهدته لنفسه دائمة ، وهي رتبة عليا لا يرتقي اليها سوى الانبياء والاولياء .
٣. من يغلب هواه ويستولي عليه وهي رتبة الانبياء والاولياء .

يؤكد الغزالي على التربية الوراثية اذ يقول " اعلم ان الطريقة في رياضة الصبيان من أهم الامور واوكدها ، والصبي امانة عند والديه ، وقلبه الطاهر جوهره نفيسة ساذجة خالية من كل نقش وصورة ، وهو قابل لكل ما نقش ومائل الى كل ما يمال به اليه . فان عود الخير وعلمه نشأ عليه وسعد في الدنيا والاخرة وشاركه في ثوابه ابواه وكل معلم له ومؤدب . وان عود الشر واهمل اهمال البهائم ، شقي وهلك وكان الوزر في رقبة القيم عليه، والوالي به ، وقد قال الله تعالى ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً ) (سورة التحريم آية ٦ ) ومهما كان الادب يصونه عن نار الدنيا فإنه يصونه عن نار الاخرة ، وصيانته بأن يؤدبه ويهذبه ويعلمه محاسن الاخلاق ويحفظه من القرناء السوء ، ولا يعوده التنعم ولا يحبب اليه الزينة اسباب الرفاهية فيضيع عمره في طلبها اذا كبر ، فيهلك هلاك الابد ، بل ينبغي ان يراقبه من اول امره فيستعمل في حضانته وارضاعه امرأة صالحة متدينة تأكل الحلال، فإن اللبن الحاصل من الحرام لا بركة فيه . فاذا وقع عليه نشور الصبي انعجنت طينته من الخبيث فيميل طبعه الى ما يناسب الخبائث ولا يكتفي الغزالي بالاشارة إلى اثر البيئة والوراثة بل راح يؤكد دور الوراثة والبيئة من خلال الزوجة فيقول : " ان تكون نسيبة اعني ان تكون من اهل الدين والصلاح فانها سترعى بناتها وبنيها ، فاذا لم تكن مؤدبة لم تحسن التأديب والتربية " .

ونتيجة لهذا التفاعل بين البيئة والوراثة يختلف الناس فيما بينهم في كثير من صفاتهم وسماتهم ، فهم وإن تشابهوا في كثير من الخواص والصفات وذلك بحكم انتمائهم الى نوع انساني واحد ، فإنهم يختلفون فيما بينهم في كثير من صفاتهم وسماتهم الشخصية نتيجة لاختلاف العوامل والمؤثرات الوراثية والبيئية التي يخضعون لتأثيرها منذ بداية تكوينهم ، ثم تستمر في تأثيرها عليهم أخر حياتهم محدثة فروقاً بينهم في جوانب شخصياتهم المختلفة .

# ثالثاً : الاختيار والجبر :

لما كان الامـام الغزالي اشعريا ( من الاشـاعرة ) فقد آمن بمبدأ الكسب ، وهو ( اثبات القدرتين على فعل واحد ، والقول بمقدور منسوب الى قادرين فلا يبقى الا استبعاد توارد القدرتين على فعل واحد ، و هذا انما يبعد اذا كان تعلق القدرتين على وجه ، واحد فإن اختلفت القدرتان اختلف وجه تعلقهما فتواردا التعلقين على شيء واحد غير محال" ، وقد فرق الغزالي بين الجبر والاختيار بين فعل الجماد وفعل الانسان وفعل الله ، فقال : " فعل النار في الاوراق مثلاً جبر محض ، وفعل الله تعالى اختيار محض وقع منزلة بين منزلتين ، فإنه جبر على الاختيار ، فطلب أهل الحق لهذا عبارة ثالثة لأنه لما كان فنـاً ثالثاً وائتموا فيه كتاب الله تعالى فسموه كسباً وليس مناقضاً للجبر ولا للأختيار ، بل هو جامع بينهما عند فهمهما .

ان الغزالي لم يجعل ارادة الانسـان في اختيار الفعل الموافق بل جعلها قصيدة بالعلم . و هذا العلم لطف من الالطاف الالهية أو نور يقذفه الله في القلب ، فإذا صح ذلك كانت الأفعال المسماة اختيارية ناشئة عن اسباب زائدة على الذات ، وكان الانسان في النهاية مجبوراً عليها . ولكن هذا لا يعني أن الانسان جبري على الاستسلام للارادة الالهية ليس تخليا عن الارادة الانسانية بعد تصحيح إتجاهها واستقامة سبيلها ، وذلك بتكييفها على وفق مقتضيات الأدب والارادة الآلهية . فإذا قال السائل ( لا اريد إلا ما يريد مشيراً بذلك الى الله ) فليس ذلك انكار لارادته ، وقيل تنسيقاً لأرادته مع إرادة الله . ومعرفة الارادة الالهية على المستوى التكييفي تتحقق بمعرفة مواضع لرضـاه سبحانه . فمفهوم الحرية عند الغزالي تعني في خلاصتها . لا تخلص في أي لون من الوان العبودية ، في حين انه في ذلك الخضوع للرغبات النفسية مهما سعت الالون واحد وهو العبودية لله وحده . ويـرى الغزالي ان الانسـان بذلك قد وجد مبتغاة .

# رابعاً : الخير والشر :

**ان الطبيعة الانسانية محايدة ليست خيرة ولا شريرة في ذاتها وفي أصلها الخلقي ، بل هي محايدة وفيها استعداد لأن تكون خيرة أو شريرة على حسب التربية وظروف البيئة . وهذا الوسط الاجتماعي له أثر كبير في تكوين الانسان في انصافه وتوجيهه . ويؤكد الغزالي هذا الاتجاه ويهتم بتربية الاطفال ، فيقول " من أوائل الامور هي التي ينبغي أن تراعي ، فان الصبي بجوهره خلق قابلاً للخير والشر جميعاً ، وانما أبواه يميلان به الى أحد الجانبين " . ويرى الغزالي ان اخلاق الانسان تتغير بالتربية فيقول : " لو كانت الاخلاق لا تقبل التغيير ، لبطلت الوصايا والمواعظ والتأديبات لما قال رسول الله صلى الله عليه و سلم [ أحسنوا أخلاقكم وكيف نفكر هذا في حق الادمي ، وتغيير خلق البهيمة ممكن ، إذا ينقل البازي في الاستيحاش الى الأنس ، والكلب من شره الأكل الى التأدب والامساك والتخلية ، والفرس من الجماح الى السلاسة والانقياد. وكل ذلك نفير للاخلاق ]. وهكذا يرى الغزالي الاخلاق سواء الخيرة منها او الشريرة ناتجة عن تفاعل دوافعه وميوله الفطرية مع المحيط البيئي الذي يعيش فيه ، وصفاته الخلقية تتوقف على قوة**

**دوافعه واعتدالها ، ومهمة التربية هو توجيه الانسان نحو الخير والابتعاد عن الشر.**

# خامسا : الفرد والمجتمع :

نظر الغزالي للانسان نظرة كلية من خلال نظرته الى الجماعة ، ولذلك أخره في كتابه الاحياء وموضوع سماه الألفة والأخوة ، وعرف الالفة بأنها " ثمرة حسن الخلق ، والتفرقة ثمرة سوء الخلق ، فحسن الخلق يوجب التحاب والتألف والتوافق ، وسوء الخلق يثمر التباغض والتحاسد والتدابر " . وان الانسان كائن اجتماعي بالطبع ، ويوضح الغزالي ذلك فيقول " ان الصحبة تنقسم الى ما يقع بالاتفاق كالصحبة بسبب الجوار ، أو بسبب الاجتماع في المكتب أو في المدرسة ، أو في السوق أوعلى باب السلطان أو في الاسفار أو الى ما ينشأ أختياراً وبقصد " .

# سادساً : النوع (الذكر والانثى ) :

لا يفرق الغزالي بين الذكر والانثى ، فيعترف بالقيمة الانسانية للمرأة ويؤكد كل حقوقها التي تقتضيها الطبيعة الانسانية . فالقيمة الانسانية لاختلاف الذكر والانثى في تحمل المسؤوليات لا تتعارض مع الفارق الطبيعي بين الرجل والمرأة ، لأن هذا الفارق له دلالة ، فهو أولاً آية من آيات الخلق الالهي ، ومظهر من مظاهر قدرة الله في عملية الخلق .

ويشير القرآن الكريم إلى ذلك ( وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى ، وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى ، وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى ، إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى ) ( سورة الليل آية١-٤ ) ويقول سبحانه وتعالى ( وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ) ( سورة الذاريات آية ٤٩ ) وبخصوص المرأة يورد الغزالي أحاديث للرسول صلى الله عليه وسلم [ أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم أخلاقاً وألطفهم بأهله ] وقال الرسول صلى الله عليه وسلم [ من كان له أبنة فأدبها فأحسن تأديبها و غذاها فأحسن غذاءها واسبغ عليها في النعمة التي أسبغ الله عليه كانت له ميمنة وميسرة من النار الى الجنة ].

وتختلف المرأة عن الرجل بوظيفتها وليس بنوعها ، اذ إن العمل الذي يصلح للرجل لا يصلح للمرأة . فالرجل أُوتي بسطة في الجسم وقوة في البنيان لأن وظيفته تقتضي ذلك . وكانت المرأة دونه لأن وظيفتها تغاير وظيفته . فالمرأة تتعرض لأعباء الحمل والرضاعة وغيرهما . لذلك جعل الغزالي للمرأة كياناً خاصاً بها ، ويضع لها شروطاً عند اختيار ها زوجةً فيقول : " ينبغي أن تكون المرأة دون الرجل بأربع وإلاّ استحقرته بالسن والطول والمال والحسب وأن تكون فوقه بأربع الجمال والأدب والورع والخلق ".

# مفهوم التربية والأهداف التربوية العامة

إن مفهوم التربية عند الغزالي يتفق مع الهدف الاسمي الذي جاهد للوصول اليه ، ولذلك عرف التربية بأنها "تهذيب لنفوس الناس في الاخلاق المذمومة والمهلكة ، وإرشادهم الى الاخلاق المحمودة المسعدة " ويشبه التربية بعمل الفلاح قائلاً " ومعنى التربية يشبه فعل الفلاح الذي يقلع الشوك ويخرج النباتات الاجنبية من الزرع ليحسن نباته ويكمل رعيه . ويرى الغزالي أن التربية الاسلامية تبلغ بالانسان درجة الكمال ، إذ يقول : " اعلم أن المقصود من المجاهدة والرياضة بالاعمال الصالحة تكمل النفس وتزكيها وتصفيها لتهذيب اخلاقها " .

ويرى الامام ان السن المناسبة للتغير بالتربية وتشكيل الخلق هي مرحلة الطفولة ، اذ تصير للتربية آثار محسوسة تبقى مهما طال الزمن فيقول : " اعلم أن الطريق في رياضة الصبيان من أهم الامور واوكدها وقلبه الطاهر، جوهرة نفيسة ساذجة خالية من كل نقش وصورة ، وهو قابل لكل ما نقش ومائلا الى كل ما يمال به اليه فان عوده الخير وعلمه نشأ عليه ، وان عود الشر وأهمل اهمال البهائم هلك وكان الوزر في رقبة القيم عليه والوالي له .

لقد رسم الغزالي هدفه التربوي على وفق فلسفته ، لنظرته للحياة وما فيها من قيم . ثم وضع المنهج العلمي الذي رآه مناسباً لتحقيق هدفه وغرضه من التربية فصنف العلوم وقسمها وأعاطاها قيمتها وبين فوائدها للمتعلم . وقد رسم الغزالي طريقة التدريس وقسم العلم على قسمين ، علم المعاملة وعلم المكاشفة ، ويؤكد ان العلم الذي يتصدر الاحياء هو علم المعاملة فقط ، لأن علم المكاشفة لا يتعلمه إلا الصديقين ويكون التكلم به بالايحاء والرموز لان افهام الخلق قاصرة عن فهمه .

إنّ الهدف العام الشامل عند الغزالي هو التقرب الى الله والوصول الى الكمال الانساني ، ولذلك نقض الغزالي مبدأ تعلم العلم لذاته كما يسميه العلم المجرد فيقول : " ويتقن ان العلم المجرد لا يأخذ باليد " ، ويرى ان التربية الخلقية ترتقي بالنفس الانسانية لتتصل بخالقها سبحانه وتعالى مصدر الكمال ويتم ذلك بأرتقائها مجال الحس والتفكير ، ثم الى مجال الكشف الذي تطل به عالم الغيب فتتطلع الى الحقيقة ، وتصل الى اقصى رتب الكمال الانساني باقترابها من الخالق سبحانه وتعالى . ومرتبة الكمال الانساني تتم من طريق عملية التزكية التي تستهدف الارتقاء في مستوى الخضوع للشهوات والاهواء الى مقام العبودية لله .

# الأهداف التربوية السلوكية العامة

١. **التوحيد والوجود :** لقد جاء الاسلام باسمى عقيدة في الاله الواحد ، صححت فكرة العقائد الدينية واتمتها ، وصححت فكرة الفلسفة النظرية وقومتها .

٢. **تنظيم المجتمع :** اساس المجتمع السليم اقرار مباديء الاخوة والتعاون والمساواة والمشاركة القائمة على ممارسة الحقوق والواجبات .

٣. **الهدف الانساني :** ان التربية في جوهرها عملية انسانية ، وان الاسلام رسالة موجهة للناس اجمعين ذكوراً واناثاً على تعدد اجناسهم ولغاتهم والوانهم وازماتهم ، فالمساواة هي الاساس .

٤. **توجيه طاقات الامة توجيها سليماً :** يرى الغزالي ان تعمل التربية الخلقية على ترقية النفس الانسانية نحو الكمال سواء أكان في مجال الفكر أم في مجال السلوك . وفي هذا حفظ لطاقات النفس الانسانية وتوجيهها لتؤدي وظائفها بشكل مناسب .

٥. **تحقيق العلم هدفاً تربوياً :** نادى الامام باقتران العلم والممارسة الهادفة المنتجة النافعة للجماعة ، فالتربية هي اخراج الاخلاق السيئة وغرس الاخلاق الحسنة .

٦. **الجندية الدائمة :** يرى الغزالي ان اعداد النفس وتزكية القلب تهدف الى أن يصبح الفرد اهلاً لحمل الرسالة الاصلاحية ، والعمل المتواصل لنيل رضا الله سبحانه وتعالىَ فهو يعد العابد لا منفعة منه ان لم يشارك الناس اعمالهم ويجاهدون في سبيل الله من اجلهم وركز الغزالي على صفات الجندية من خلال التربية الخلقية ، اذ يرى ضرورة تعويد الطفل على الخشونة في المفرش والملبس والمطعم ، وان يعود المشي والحركة والرياضة حتى لا يغلب عليه الكسل .

٧. **الاستقلالية :** يؤمن الغزالي بالاستقلالية في التربية واتخاذ المواقف الايجابية دغض النظر الى موافقة الرأي العام ، وفي هذا يقول الغزالي : " واياك ان تنظر الى أهل عصرك ، فانك ان تطلع اكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله " .

***مكونات العملية التربوية***

# *المكون الاول : المنهج الدراسي*

١. البدء بتعليم القرآن : **وفيه يتم تعلم العلوم القرآنية الاخرى مثل التفسير والناسخ والمنسوخ ، والمفصول ، والموصول ، والمحكم والمتشابه.**

٢. **تعلم السنة :** والسنة في العلوم الشرعية المستفادة من الانبياء ، ولا يرشد العقل اليها كما يرشد الى الحسب والطب ، ولا السماع مثلما هو الامر في اللغة .

٣. **الاشتغال بالفروع :** يجبر الغزالي الاشتغال بالفروع لمذهب معين بلا نظر في الاخلاق ، وذلك ليكون عمل الطالب مطابقاً لعلمه .

٤. اصول الفقه : **يقرر الغزالي تعلم العلوم حدوداً ومقاديرَ اذ يقول " لا تستغرق كامل عمرك في فن واحد منها طلباً للاستقصاء ، فان العلم كثير والعمر قصير.**

ولذلك قرر الغزالي تعلم ما يأتي :

١. اللغة .

٢. التفسير .

٣. الحديث .

٤. حفظ اسماء الرجال .

٥. الفقه .

٦. علم الكلام .

# *المكون الثاني: أساليب التدريس عند الغزالي*

تختلف أساليب التدريس عند الامام الغزالي فلكل مرحلة من مراحل العمر اسلوب ، فالتربية لديه مستمرة من المهد الى اللحد .

١. **مرحلة الطفولة :** ويصنع الغزالي قواعد عامة لتربية الطفل وهي :

أ. حسن المراقبة .

ب. الاعتدال .

٢. **مرحلة الصبيان (مرحلة الكتاب) :** ويتم على مراحل :

أ. الحفظ او التلقين .

ب. الفهم .

ج. الاعتقاد والتصديق .

د. اشغال اوقات الفراغ .

هـ . تقديم النصح والتوجيه واللعب .

**٣. مرحلة الفتيان :** وهي طرق متعددة :

أ . الطريقة المباشرة .

ب. الطريقة غير المباشرة .

ج. التوسع على المتعلم في طلب العلوم .

د. مراعاة القدرات الفردية للمتعلم .

هـ . الحوار والمناظرة .

و. الرحلة .

ز. الخلوة .

ح. التفكر .

## *المكون الثالث : المعلم ووظائفه*

١. الشفقة على المتعلمين .

٢. ان يكون تعليمهم بدون مقابل .

٣. أن لا يدخر نصح المتعلم شيئاً .

٤. زجر المتعلم بطريق التصريف ما امكن .

٥. ان لا يفرض على الطالب اتجاه المعلم وميله .

٦.ان يتعامل مع المتعلم على قدر فهمه .

٧. التعامل مع التعليم بجلاء ووضوح .

٨. ان يكون المعلم عاملاً لعلمه .

# المكون الرابع : المتعلم

## آداب المتعلم

١. تقديم طهارة النفس على رذائل الاخلاق ومذموم الصفات .

٢. التقليل ما امكن من الاشتغال بالدنيا .

٣. ان لا يتكبر على العلم ولا يتأخر على المعلم .

٤. على المبتدئ ان لا يخوض أو يصغي الى اختلاف الناس .

٥. ان لا يدع طالب العلم فناً من العلوم المحمودة ولا نوعاً من انواعها الا وينظر فيه .

٦. ان لا يخوض في فن دفعة واحدة ويراعي الترتيب ويبتديء بالاهم .

٧. ان لا يخوض في فن حتى يستوفي الفن الذي قبله.

٨. ان يعرف السبب الذي به يدرك اشرف العلوم .

٩. ان يكون قصد المتعلم في الحال تحلية باطنة وتحميله بالفضيلة .

١٠. ان يعلم نسبة العلوم الى المقصد .

**وحصر الغزالي ( الفوائد ) التي يجنيها الطالب من حصوله على العلم و المعرفة بما يأتي :-**

**الفائدة الأولى** :- يبقى العلم و المعرفة إلى ما بعد الموت ... افضل محبوب المرء ما يدخل في قبره ويؤنسه فيه ، فيما وجدت إلا الاعمال الصالحة فاخذتها محبوبا لي لتكون سراجاً في قبري وتؤنسني فيه ولا تتركني فريداً .

**الفائدة الثانية** : " اني رايت ان الخلق يعتقدون اهواءهم ويبادرون الى مرادات انفسهم فتأملت قوله تعالى : ( وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى ، فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ) ( سورة النازعات آية ٤٠-٤١ ) وتيقنت ان القران حق صادق فبادرت الى خلاف نفسي وتشمرت بمجاهدتها ومامتعتها بهواها حتى ارتضت بطاعة الله وانقادت .

**الفائدة الثالثة** :" اني رايت كل واحد من الناس يسعى في جمع حطام الدنيا ثم يمسكه قابضاً يده عليه . فتاملت في قوله تعالى : ( مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ ) ( سورة النحل : آية ٦٩ ) فبدلت محصولي من الدنيا لوجه الله تعالى ففرقته بين المساكين ليكون ذخراً لي عند الله تعالى " .

**الفائدة الرابعة** : " اني رايت بعض الخلق يظن أنّ شرفه وعزه في كثرة الاقوام والعشائر فأعتز بهم ، وزعم اخرون انه في ثروة الاموال وكثرة الاولاد فافتخروا بها . وحسب بعضهم أن العزّة والشرف في غصب اموال الناس وظلمهم وسفك دمائهم . واعتقدت طائفة انه في اتلاف المال واسرافه وتبذيره .

فتاملت قوله تعالى : ( إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ) ( سورة الحجرات آية ١٣ ) فاخذت التقوى ، واعتقدت ان القرآن حق صادق وظنهم وحسبانهم كله باطل زائل .

**الفائدة الخامسة** : " اني رايت الناس يذم بعضهم بعضا ويغتاب بعضهم بعضا ، فوجدت اصل ذلك من الحسد في المال والجاه والعلم فتأملت قوله تعالى : ( نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ) ( سورة الزخرف آية ٣٢ ) فعلمت ان القسمة كانت من الله تعالى في الازل ، فما حسدت احدا ورضيت بقسمة الله تعالى .

**الفائدة السادسة** : " اني رايت الناس يعادي بعضهم بعضا لغرض وسبب فتأملت قوله تعالى : ( إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوّاً ) ( سورة فاطر آية ٦ ) فعلمت انه لا يجوز عداوة احد غير الشيطان .

**الفائدة السابعة** : " اني رايت كل واحد يسعى بجد ويجتهد بمبالغة لطلب القوت والمعاش بحيث يقع به في شبه حرام ويذل نفسه وينقص قدره ، فتأملت قوله تعالى : ( وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا ) ( سورة هود آية ٦ ) فعلمت ان رزقي على الله تعالى وقد ضمنه فاشتغلت بعبادته ، وقطعت طمعي عمن سواه .

**الفائدة الثامنه** : " اني رايت الناس كل واحد معتمد على شيء مخلوق بعضهم على الدينار والدرهم ، وبعضهم على المال والملك وبعضهم على الحرفة والصناعة ، وبعضهم على مخلوق مثله فتأملت قوله تعالى ( وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً ) ( سورة الطلاق آية ٣ ). فتوكلت على الله تعالى فهو حسبي ونعم الوكيل .

# ثالثاً : ابن رشد ( ٥٢٠ - ٥٩٥ )

## نسبه ومولده :

هو ابو الوليد محمد بن احمد بن ابي الوليد محمد بن احمد بن رشد ، ويكنى بابي الوليد ويكنى بقاضي الجماعة ( قاضي الجماعة كبير القضاة مصطلح ظهر بالاندلس فيه صاحبه الى جانب خطته قاضي النظر في الاجناس والمواريث ، وله سلطة الاشراف على العدول يؤم الناس في الجمعة والعيدين ، و هذه الوظيفة خاصة بقرطبة وحدها ) ويكنى بابي الوليد الفيلسوف ويكنى الوليد الحفيد الغرناطي ويكنى بأبي الوليد الاصغر ، ويكنى بالحكيم وقد عرف أبن رشد أيضاً بالحفيد ، ولد في قرطبة عام وتوفى في مراكش سنة (٥٩٥ هـ) مساء الخميس ٩ صفر المصادف ٣ / كانون الاول ١١٩٨/.

لقد اشتهر ابن رشد في العصور الوسطى باسم (Averroes) عاش في الحروب الصليبية التي امتدت من (٤٨٩ هـ ـ ٦٨٨ هـ)، وعاش في عهد دولتي المرابطين الموحدين . وينتمي الى اسرة تعد من اعرق الاسر الاندلسية ، اذ كانت تتمتع بتقدير عظيم في القضاء ، فكان جده ابو الوليد قاضي قرطبة فقيهاً مشهوراً في المذهب المالكي .

وصف ابن الآبار ابن رشد قائلاً : " كان فقيهاً عالماً حافظاً للفقه بصيراً بأقوالهم نافذاً في علم الفرائض والاصول من أهل الرياسة والعلم والبراعة والفهم مع الدين والفضل والوقار ، وتقلد القضاء بقرطبة وسار فيه بأحسن وأقومها طريقة ، ثم أستعفى فاعفي ، ونشر كتبه وتواليفه ومسائله وتصانيفه ، وكان الناس يلجؤون اليه ويعتمدون في مهماتهم عليه . اما ولده احمد (٤٨٧-٥٦٣ هـ) (١٠٩٤-١١٦٧م) فكانت سيرته على منوال سيرة أبيه ، اذ شغل منصب قاضي قرطبة ، ولم تغمض عيناه حتى رأى ابنه ( ابن رشد الحفيد ) قد نبغ نجمه وذاعت شهرته وتقلد المكانة السامية التي كان يشغلها الاب والجد نشأ ابن رشد الحفيد في هذه البيئة الزاخرة بالعلوم والفضل فدرس ما يدرسه ابناء زمانه من اللغة والادب والاصول وعلم الكلام ، ولا شك ان هذه المكانة العلمية الرفيعة التي كان يشغلها كل من الجد والوالد كان لها اثرها العميق وطابعها الواضح في شخصية ابن رشد ( الحفيد ) وتكوينه العلمي والثقافي . ولذلك ليس بالمستغرب ان تأتي حياة ابن رشد على المنوال نفسه الذي توالى في تلك الاسرة التليدة الشرف ، فقد سلك بطبعه تربية اسرته وتاريخها العلمي والديني مسلك ابيه وجده فنشأ نشأة دينية خالصة .

# شيوخه :

كان ابن رشد جاداً في حياته العلمية لذلك قال ابن الابار ( وعني بالعلم من صغرة الى كبره حتى حكى عنه انه لم يدع النظر والقراءة منذ عقل الا ليلة وفاة ابيه وليله بنائه على أهله . وانه اشتهر في ماصنف وقيد والف و هذب واختصر نحو من عشرة الاف ورقة ومال الى علوم الاوائل فكانت له فيها الامامة دون اهل عصره .

درس ابن رشد الفقه على مذهب الامام مالك ، وروي الحديث عن أبيه بن قاسم ومن ابرز شيوخه في العربي ابو بكر بن سمحوت وابو جعفر بن عبد العزيز ، وقد الف كتاباً في اللغة العربية سماه ( الضروري في النحو ) ، واهتم ايضاً بعلم الطب ، وألف كتباً منها الكليات في الطب . اما عن الفلسفة فذهب قسم من الباحثين الى انه أخذها عن ابن باجة وابن طفيل .

# أخلاقه :

هذه الاخلاق التي تمتع بها ابن رشد جعلته محط أنظار الموحدين في المغرب الذين كانوا يطمحون الى عملية تجديد الجوانب من حياة المجتمع العربي الاسلامي في المغرب وفي مقدمتها العلم والتعليم . ولذلك دعا الخليفة عبد المؤمن الموحدي ابن رشد سنة ٥٤٨ هـ / ١١٥٣ الى مراكش بعد أن أخذ بنصيحة ابن طفيل .

# تلاميذه وأثره الثقافي :

كان لابن رشد مجلس علم يتحلق حوله طلاب المعرفة من كل مكان وتلمذ ابن رشد على بر والده أبي القسام على يده أولاد ومنهم أبو محمد عبد الله . وقد ذكره ابن أبي أصيبعة قائلاً " ابو محمد بن رشد هو ابو محمد بن عبد الله بن أبي الوليد محمد بن احمد بن محمد بن رشد فاضل في صناعة الطب عالم بها مشكور في أفعالها . أما أشهر تلاميذه فهو ابو الحجاج يوسف بن طملوس (٥٦٠- ٦٢٠ هـ /١٢٢٣م) صاحب كتاب المدخل لصناعة المنطق ، ومن تلاميذه ايضاً ابو عبد الله محمد بن سحنون .

# اولاً : مؤلفاته في الفلسفة والعلوم الالهية :

١. تفسير ما بعد الطبيعة نشره الأب موريس بويج بيروت ١٩٣٨.

٢. تعليق على برهان الحكم .

٣. تلخيص شرح ابي نصر ( الفارابي ) .

٤. تلخيص كتاب نيقولاس .

٥. تلخيص كتاب ارسطو في المنطق .

٦. تلخيص كتاب الاخلاق .

٧. تلخيص كتاب البرهان .

# ثانياً : في الطب :

١.تلخيص الاعضاء .

٢.تلخيص اول كتاب الادوية المفرد لجالينوس .

٣.تلخيص كتاب المزاج لجالينوس .

٤. كتاب الحميات .

٥. مقالة في المزاج .

٦. كتاب الكليات .

## ثالثاً : مصنفات فقهية وكلامية :

١. كتاب التحصيل .
٢. كتاب المقدمات .
٣. كتاب مناهج الادلة .
٤. مختصر كتاب المستصفى للغزالي .

## رابعاً : مصنفاته في اللغة العربية :

١. الضروري في النحو .
٢. كلام عن الكلمة والاسم المشتق .
٣. الشرح الصغير للفصاحة والشعر.

## العوامل المؤثر ة في شخصية ابن رشد :

عندما توفي يوسف بن تاشفين سنة ٥٠٠ هـ /١١٥٦م تولى الامر من بعده ابنه علي بن يوسف الذي حاول اقتفاء سيرة والده في المحافظة على أرثه الضخم ، ومواصلة الدفاع عن الاندلس ورد الاخطار عنها ، غير انه لم يكن قائداً عسكرياً كأبيه ، بل كان يميل الى الورع والزهد . ويعد في الزهد المتبتلين اقرب منه الى ان يعد في الملوك المتغلبين ، واشتد إيثاره لاهل الفقه والدين ، وكان لا يقطع أمراً في جميع مملكته بلا مشاورة الفقهاء ، فكان اذا ولى احداً من قضاياه كان في ما يعهد اليه الا يقطع ولا يثبت حكماً ( لا يصدر حكماً ) في صغير من الامور ولا كبير الا بمحضر اربعة من الفقهاء ، فبلغ الفقهاء في ايامه مبلغاً عظيماً لم يبلغ مثله في الصدر الاول من فتح الاندلس . ولم يزل الفقهاء على ذلك فكثرت لذلك أموالهم واتسعت مكاسبهم ، ولم يزل يقرب من أمير المسلمين ويحظى عنده إلا من علم الفروع ويحيي فروع مذهب مالك ، فانتشرت في ذلك الزمان كتب المذهب المالكي وتحمل بمقتضاها ونبذ ما سواها . وكثر ذلك حتى نسيت النظر في كتاب الله وحديث الرسول صلى الله عليه و سلم وكان على رأس الفقهاء في هذا العصر أسرتان هما بنو حمدين وبنو رشد في حين كان بنو حمدين طموحين سياسياً ميالين الى ترجمة مكانتها العلمية والاجتماعية الى نفوذ سياسي مباشر ، كان بنو رشد أميل الى الوقوف عند حدود الواجهة العلمية والاجتماعية . ومن مظاهر الطموح السياسي لفقهاء بني حمدين الحملة الشرسة التي شنها كبيرهم أبو عبد الله محمد بن حمدين قاضي قضاة قرطبة على كتاب الاحياء للغزالي حين وصوله الى الأندلس . ومعلوم ان الغزالي كان يريد ان يجعل من كتابه احياء علوم الدين فقهاً للروح بعد تحرف الفقه الرسمي في الرسوم والشكليات ، وصار الناس يتخذون من الفروع أصولاً ، وخلا الميدان من العلماء المجتهدين . ولذلك ثار فقهاء قرطبة ضد كتاب الاحياء لشعورهم بأنه دعوة مباشرة الى الحد من نفوذهم والثورة عليهم ، فأشتدوا ضده ، وقاد الحملة أبو القاسم بن حمدين فآمنوا بتكفير من قرأ كتاب الاحياء وأستصدروا من الأمير علي بن يوسف بن تاشفين أمراً باحراقه فجمعت نسخه وأشتعلت فيه النيران في قرطبة وغيرها من حواضر الأندلس والمغرب وكان ذلك ٥٠٣ هـ / ١١٠٩م .

أما بنو رشد فبرز منهم ابن رشد الجد جد فيلسوفناً الذي تولى منصب قاضي قضاة قرطبة سنة ٥١١ هـ / ١١١٧م على عهد علي بن تاشفين الملك المرابطي ، فسار فيه بأحسن سيرة وأقوم طريقة ، عرف بـ ( الجلالة والفضل والذكاء والنبل والنزاهة والحلم والمعرفة والعلم ) ، فلم تكن له أية مطامع سياسية ، اذ كان الى العلم اميل ، فبدأ بتأليف كتابه البيان والتحصيل ، وهو موسوعة فقهية في عدد من المجالات قبل توليه القضاء ، فبقي مرتبطاً به الى ان طلب الاستعفاء

سنة ٥١٥ هـ / ١١٢١ لينقطع الى التأليف حتى أن توفي سنة ٥٢٠ هـ / ١١٢٦م وهي السنة التي ولد فيها حفيده الفيلسوف ابن رشد .

***فلسفته العامة***

امتاز ابن رشد من غيره من علماء عصره بمقدرتة على النقد والبناء فتجد كثيرا من جوانب فكره وفلسفته يقصره على الجانب النقدي ، مما يدل دلالة واضحة على انة صاحب رؤية فلسفية نقدية متميزة تقوم في اساسها على الهدم والازالة قبل البناء ، جاعلا من ذلك الهدم نوعا من التطهير الفكري والفلسفي . وقد شن قطيعة ابتسمولوجية ( معرفية ) مع كل من الفاربي وابن سينا كوّنت خلافا لماشاع وذاع ، لم يعمل على التوفيق بين الدين والفلسفة كما فعل الفيلسوفان المشرقيان بل عمل بالعكس من ذلك على الفصل بينهما . لقد اثبت ابن رشد بآيات قرآنية واحاديث شريفة في اباحة النظر في الفلسفة وعلوم المنطق، لا بل أوجب النظرفيها ، ثم يذهب الى وجوب استعانة العارف بمن تقدمه من العلماء .

# اراء ابن رشد الفلسفية

## أولا . الوجود :

اذا تصفحنا اسباب الموجودات العامة وجدنا ان منها ما هو قريب بموجود موجود، ومنها ما هو بعيد عام مشترك بين سائر الموجودات . واول الاسباب الخاصة ضمن المادة والصورة القريبتين اللتين يحدث عنهما الموجود او يفسد اليهما . اما الاسباب المشتركة فأولهما المادة الاولى وهي السبب الاقصى للتحرك والانفعال ، فالمحرك الاول و هو السبب الاقصى للتحريك والفعل ، فضلاً عن هذين السببين الصورة والغاية وهما في الموجودات الطبيعة لا تتميزان الا بالاسم لان الغاية الاولى في الكون هي الصورة .

إنّ الاشياء تحدث عن أسبابها القريبة او الخاصة لا البعيدة او العامة فلا يحدث الموجود عن الصورة . مفهوم الذات الالهية عند ابن رشد يمكن تلخيصها: " ان المبدأ الاول للوجود هو القوة التي تهيمن على هذا الوجود ، وهيمنة القوانين التي تحفظ النظام وتفيده التركيب والعلاقات الجدلية ، وتشمله بالاحاطة التي هي العلم ، فهو عقل الوجود وعلمه ونظامه ومحركه المتنزه عن المساواة ، او عن اي شيء وصل الى تصوره عقل الانسان " اما ادلته على وجود الذات الالهية فهي بعد ان يرفض ادلة اهل الظاهر والمتكلمين والمتصوفة وكان قد رفض من قبل أدلة الفلاسفة المشائين العرب لانها ليست شرعية في نظره ، مع انها ليست منطقية تلزم المرء الحجة على النمو الذي تجد مثلاً في البراهين الرياضية . لذلك يقدم أدلته الفعلية التي تتفق تماماً مع ماجاء به الدين الاسلامي . يقول " فاذا تقرر انه يجب بالشرع النظر في القياس الفعلي وانواعه كما يجب النظر في القياس الفقهي فبين أنه كان لم يتقدم أحد ممن قبلنا يفحص عن القياس الفعلي وأنواعه انة يجب علينا ان نتبدى بالفحص عنه ، وان يستعين فيه ذلك المتاخر بالمتقدم من تكمل المعرفة به فانه عسير او غير ممكن ان يقف واحد من الناس من تلقائة وابتدائة على جميع ما يحتاج اليه من ذلك ، وانه يجب ان يستنبط جميع ما يحتاج اليه من معرفة انواع القياس الفقهي ، بل معرفة القياس العقلي احرى بذلك ، وان كان غير ناقد ، فحص عن ذلك فبين انه يجب علينا ان نستعين على ما نحن بسبيله بما قاله من تقدمنا في ذلك ، وسواء كان الغير مشاركا لنا او غير مشارك في العلة فان الاليه التي تصح بها التزكية ليس يعد في صحة التزكية بها كونها الية المشارك لنا في العلة او غير مشاركة اذا كانت فيها شروط الصحة . واعني بغير المشارك من نظر في هذة الاشياء من القدماء قبل ملة الاسلام " .

## ثانيا : المعرفة :

كل مفكر او فيلسوف يحاول ان يؤسس المعرفة من طريق النظر الفلسفي حتى يتسنى له بعد ذلك بناء صرحه الفلسفي . وفلسفة ابن رشد عقلية بالدرجة الاولى ، ولذلك اهتم بالعقل ودرس بتمعن قدرته وحدوده ، وما الاثر الذي يؤديه في نظرية المعرفة ، ليتضح له بعد ذلك ان الفعل له الاثر الاول البارز ، وان اثر الاحساس بداية اساسية لقيام العقل . وفيما ياتي مراحل المعرفة لديه :

**١. مرحلة التجربة الحسية في المعرفة :**

يرى ابن رشد ان بداية المعرفة ترتبط اساسا بالتجربة الحسية ، اذ بالحس ندرك الصور في مجيء شخصية ، اى بوصفها متمثلة في مادة او هيولي . فنحن مثلا ندرك اللون الاحمر متمثلاً في الشيء الملون بهذا اللون ، لكننا لا ندرك هذا اللون وحده بغير الشيء الملون . يقول ابن رشد : " وعلى ذلك فنحن لا نستطيع تخيل اللون مجرد عن العظم والشكل فضلاً عن نحسه ، وبالجملة لا تقدر ان تتخيل المحسوسات مجردة عن الهيولي وانما ندركها في هيولي ، وهي الجهة التي بها تشخصت " وهكذا نشأ في نفوسنا عدة معان وصور للمحسوسات ترتبط بالاشياء المحسوسة التي نشأت عنها في نفوسنا تلك الصور دائماً ، وذلك من طريق الاحساس والتخيل . ولان هذه الصور مرتبطة دائماً بموضوعات مادية كان ابن رشد يسميها بالصور الهيولانية . ولذلك فإن ما ينشأ في عقولنا من تصورات او معقولات انما يكون قد تَحصّلَ أساساً عن طريق التجربة " التجربة انما تكون بالاحساس اولاً و التمثيل ثانياً . واذا كان ذلك كذلك فهذه المعقولات اذاً مضطرة في وجودها الى الحس والتخيل ، فهي ضرورة حادثة بحدوثها وفاسدة بفساد التخيل " وبذلك يكون ابن رشد قد سبق الفلاسفة التجريبيين بجعل التجربة الحسية او الاحساس نقطة بدء طبيعية لتكوين المعقولات ، وهو بذلك قد سبق ( كانت ) Kant الذي ذهب الى تحليل قوة العقل او قدراته الى القول ان الحسية او الاستنباط بمعنى قدرة الانسان عنده على الاحساس ، الا ان الفرق بين الفليلسوفين يتلخص في ان ابن رشد عد الاحساس قوة من قوة النفس في حين عده ( كانت ) قوة من قوى العقل .

## ثالثاً :- الطبيعة الانسانية :

**أدرك الفلاسفة المسلمون مكانة الانسان في الكون واثره في الحياة والوجود ، فهو خليفة الله في الارض . ولذلك وجهوا اليه أهمية بالغة حتى وصفوه بأنه ( انسان عين الوجود ) ومن هنا انطلق ابن رشد في عد الانسان أشرف الموجودات التي في هذا الكون ، والعالم يعلل ذلك قائلاً " الانسان هو النظام بين الموجودات المحسوسة الناقصة التي تشوب فعلها أبداً القوة ، وبين الموجودات الشريفة التي لا تشوب فعلها قوة اصلاً ، وهي العقول المفارقة ، ووجوب ان يكون كل ما في العالم اما هو من اجل الانسان اوخادم له ، إذ كان الكمال الاول الذي كان بالقوة في الهيولي الاولى انما ظهر فيه " ويقول ايضاً " ان الانسان اشرف منه كثير من الموجودات ، ومنها انه اذا كان كل موجود يظهر من امره انه لم يخلق عبثاً ، وانه خلق الفعل مطلوب منه وهو ثمرة وجود .**

ويضيف ابن رشد شيئاً عن أهمية الانسان فيقول " واذا ظهر ان الانسان خلق من اجل افعال مقصودة به فظهر ايضاً ان هذه الافعال يجب ان تكون خاصة ، لانا نرى واحداً من الموجودات انما خلق من اجل الفعل الذي يوجد لا في غيره اعني الخاص به ، واذا كان ذلك فيجب ان تكون غاية الانسان في افعاله التي تخصه من دون سائر الحيوان ، وهذه افعال النفس الناطقة.

ويحدد ابن رشد متانة الانسان في الوجود اذ يقول : " ان اقرب موجود ها هنا في الرتبة من الاجرام السماوية هو الانسان ، وهو كالمتوسط بين الموجود الازلي والكائن الفاسد . فالانسان هو الواصلة الذي اتصل به الموجود والمحسوس بالموجود المعقول . ولذلك تم به الله هذا الوجود الذي لحقه النقصان لبعده عنه " .

# ابعاد الطبيعة الانسانية

وهي عند ابن رشد ( النفس ، الروح ، الجسم )، والبحث في النفس عند ابن رشد هي قسم من العلم الطبيعي لان العلم الطبيعي يبحث في الجسم من حيث هو مركب من مادة وصورة ونفس ، هي صورة الجسد او هي كما قال الفلاسفة " كمال اولي لجسم طبيعي آلي ". ودليلنا على ذلك ان النفس لا تفعل ولا تنفعل الا بالجسد ، وان احوالها لا تنفصل عن الهيولي الطبيعية . ولكن اذا ثبت ان اتصال النفس بالهيولي اتصال بالعرض ، وان هناك أحوالاً للنفس منفصلة تمام الانفصال عن المادة الجسمانية وجب عند ذلك دراسة هذه الاحوال في علم ما بعد الطبيعة ومعنى ذلك كله ان النفس تدرس في العلم الطبيعي من جهة كونها صورة للجسم ، وتدرس في علم ما بعد الطبيعة من جهة كونها مقارنة . ولذلك يتساءل ابن رشد هل يمكن أن تفارق النفس الجسد ام لا ؟ فيجيب عن هذا السؤال بقوله : " ان المفارقة قد تنسب الى ما من شأنه ان يكون اتصاله بالهيولي اتصالاً بالعرض كالعقل . اما الصور الهيولانية فيستحيل تصور المفارقة فيها لان اتصالها بالمادة اتصال جوهري " وقد سلك ابن رشد مسلك الفلاسفة الذين سبقوه فقال انه يجب التفرقة بين نفوس ثلاث هي النفس النباتية والنفس الحيوانية والنفس الانسانية . او العاقلة . اما النفسان الاوليان فليستا مفارقتين للبدن ، ومعنى ذلك انهما منطبعتان فيه ، ولا يمكن ان تنفصلا عنه بحال ما ، لانهما توجدان بوجود النبات او الحيوان وتفنيان بفنائهما . اما النفس الانسانية فهي من جنس آخر ، اذ عرفها قائلاً : " النفس هي ذات ليس بجسم ، حية عالمة قادرة مريدة سمعية بصيرة متكلمة " اما عن علاقة النفس بالجسد فقد استطاع ابن رشد التوفيق بين الفلسفتين اليونانية والاسلامية ، اذ قال : إن النفس وان كانت صورة للبدن فإنها جوهر روحي قائم بذاته لا ينقسم باقسام الجسم ، ولكنه رأى من جهة اخرى أنها لا تفيض من العقل الفاعل او واهب الصور وما كان يقول فلاسفة الاسلام قبله ، وذلك لأن الله وحده هو الذي يخلق جميع الكائنات روحية أو مادية خلقاً مباشراً ، أي بلا حاجة الى القول بانها تتوسط بينه وبين مخلوقاته.

# رابعاً. الحرية والجبرية :-

حاول ابن رشد ان يفند نظرية الكسب التي جاء بها الاشاعرة ومنهم الغزالي ، فيقول ابن رشد : " وما الكسب الذي يقول به الاشاعرة فهي الجبرية بعينها ، بأنهم لا يفرقون بين هذا الذي يسمونه كسباً بين الحركة الاضطرارية كرعشة اليد مثلاً الا تفرقة لفظية ، والاختلاف في اللفظ لا يوجد الا حكماً في الذوات " ثم يشير فيلسوفنا الى إيجاد طريق وسط حقيقة بين الجبر والاختيار، فإن وجود الاشياء عن ارادتنا ليس مستقلاً عن وجودها بالاسباب الخارجية ، وهي من تقدير الله فوجب نسبتها الى كلا هذين القائمين : الارادة والاسباب الخارجية ، اي الى الانسان من جهة والله من جهة اخرى .

# خامساً. الفرد والمجتمع :

ينحو ابن رشد منحى ارسطو فيقول ان الانسان مدني بالطبع ." فلا يمكن لانسان واحد ان يحصل من هذه الفضائل على الفضيلة الخاصة التي ينفرد بها من غير ان يعاونه في ذلك أناس آخرون ، أعني أن الانسان يحتاج في حصوله على فضيلته الى أناس غيره . ولذلك قيل بحق عن الانسان انه مدني بالطبع وليس يحتاج الى هذا التعاون في الكمالات الانسانية وحدها ، بل ايضاً في جميع الاشياء الضرورية في حياة الانسان" .

# سادساً. العدل والجور ( الخير والشر ) :

يرى ابن رشد ان الله يخلق الخير والشر جميعاً، لكنه يخلق الخير ويخلق الشر من اجل ما يترتب عليه من الخير فلم يكن بدا بحسب ما تقتضيه الحكمة من أمرين أما لا يخلق الانواع التي توجد فيها الشرور في الاقل والخير في الاكثر ، فيعم الخير الاكثر مع الشر الاقل ، وأما ان خلق هذه الانواع فيوجد فيها الخير الاكثر من الشر الاقل . ويتوصل ابن رشد الى نتيجة أن الخير هو المتغلب : " فقد بين من هذا القول كيف ينسب اليه الضلال مع العدل ، وذفي الظلم ، وانه انما ما خلق أسباب الضلال لأنه يوجد غالباً الهداية أكثر من الضلال ، وذلك أن من الموجودات ما اعطى اسباب الهداية أسباباً يعرف فيها الضلال في الأقل ، اذ لم يكن في وجودها اكثر من ذلك فكان التركيب وهذه حالة ( الانسان ) .

# سابعاً. النوع ( الذكر والانثى) :

لقد اعترف ابن رشد بمكانة المرأة وأثرها في المجتمع قائلاً " ان النساء من جهة انهن والرجال نوع واحد في الغاية الانسانية ، فإنهن بالضرورة يشتركن واياهم فيها وان اختلف عنهن بعض الاختلاف . اعني ان الرجال اكثر كداً في الاعمال الانسانية من النساء ، وان لم يكن من غير الممتنع ان تكون النساء اكثر حذقاً في بعض الاعمال كما يظن ذلك في فن الموسيقى العملية . ولذلك يقال ان الالحان تبلغ كمالها اذا نشأها الرجال وعملتها النساء فان كان ذلك كذلك ، وكان طبع النساء والرجال طبعاً واحداً في النوع وكان الطبع الواحد بالنوع انما يقصد به في المدينة العمل الواحد . فمن الابين اذن ان النساء يقمن في هذه المدينة بالاعمال نفسها التي يقوم بها الرجال ، الا انه بما انهن اضعف منهم فقد ينبغي ان يكلفن من الاعمال باقلها مشقة . وقد يتبين ذلك غاية البيان بالفحص ، وذلك اذا نرى النساء يشاركن الرجال في الصنائع ، الا انهن في أقل منهم قوة وإن كان معظم النساء أشد حذقاً من الرجال في بعض الصنائع كما في صناعة النسيج والخياطة وغيرها " .

# الفكر التربوي عن ابن رشد

## أولاً . المنهج التربوي :

حاول ابن رشد وضع منهجه التربوي من خلال :

**١.غرس الفضائل :**

كيف تربي الحكمة والشجاعة والعدل والفقه وغيرها من الفضائل في نفوس الأطفال ثم تحافظ على هذه الفضائل وازالة الرذائل في النفوس الشريرة ، بالاحرى تربية ضمير اخلاقي ؟

يقول ابن رشد ان هناك ثلاثة أمور في غرس الفضائل وهي :

أ. الوقوف على الشروط التي اذا وجدت في واحدة من هذه الفضائل مكنتها من أن تفعل ، من ذلك أن يقال ما الشجاعة باطلاق ؟ فيقال : انها صفة تحصل في النفس تقع بين التهور والجبن ، وهي ملكة بها يصير الانسان شجاعاً إذا يجب وبالمقدار الذي يجب والوقت الذي يجب .

ب. معرفة ترسيخ هذه الفضائل في نفوس الاحداث ليربوا عليها بالتدريج الى ان يبلغوا كمالهم ، ثم إذا بلغوا كمالهم يتعرفون المحافظة عليها وكيف تزول الرذائل من النفوس الشريرة ؟ وبالجملة فالأمر هنا كالأمر في صناعة الطب . فكما ان الجزء الاخير منها يشتمل على ما به يعرف كيف تنشأ الاجسام ؟ على الصحة وكيفية حفظها ؟ وكيف تُزال منها العلل اذا مرضت ؟

ج. ومعرفة أي من الفضائل التي اذا اجتمعت مع غير ها كان فعلها اكمل ؟ واي منها يعوق غيره ؟ فكما يعرف الطبيب الأمور التي إذا اجتمعت في الجسم حصل منها البرء وحفظ الصحة ، فكذلك الاخر ها هنا ، و هذا كله انما يوقف عليه لمعرفة غاية هذه الكمالات والقصد منها من جهة إنها جزء من المدينة . وإن حفظ صحة الاعضاء واعادة البرء اليها انما يوقف عليه في الاغلب لمعرفة نسبتها لسائر الاعضاء ومرتبتها منها .

**وثمة طريقان لتحصيل الفضائل جملة في نفوس اهل المدينة :**

١. **الطريق الاول :**
هو اقناعهم باستعمال الاقاويل الخطابية والشعرية ، وهذا الطريق في تعليم العلوم النظرية خاص بالجمهور . أما الخاصة فتعليمهم العلوم النظرية يكون بالطرق اليقيينية ( البرهانية ) ، وانما خص افلاطون الجمهور بالطرق الخطابية الشعرية في تعلم الحكمة لانه ليس هناك في طريق غير ها إلا احد الأمرين ، اما ان يتعلمو ها بألأقاو يل البرهانية و هذا ممتع في حقهم ، واما ألا يتعلموها اصلاً وهذا ممكن .

## ٢ . الطريق الثاني :

وهو السبيل الذي يسلك مع المتمردين والاعداء ، وان لا يتحله بما يوجب له من الفضائل ، وهوسبيل الاكراه والعقاب بالضرب . ويبين ان هذا الطريق لا يستعمل مع اهل المدينة الفاضلة ، الا أن يكون ذلك للمتمردين ، وهو فعل في التدشئة على المكان ، اعني في الحرب وامتهانها . واما سائر الامم غير الخيرة التي لا تجرى افعالها على المجرى الانساني فلا سبيل الى تأديبها الا هذه ، واعني أكراهها بالحرب على الاخذ بالفضائل .

# ثانيا . حاول عقد الصلة بين الدين والفلسفة ولكن منهما منهج :

لقد انطلق ابن رشد في تصوره المنهجي الجديد للعلاقة بين الدين والفلسفة من مبدأ أساسي هو الفصل بين عالم الغيب والشهادة فصلاً جذرياً أساسه ، لكل منهما طبيعته الخاصة التي تختلف جوهرياً عن طبيعة الاخر . ومن هنا كان الفصل في قضية منهجية واساسية هو تأكيد عدم دمج قضايا الدين وقضايا الفلسفة أو العكس ، لأن عملية الدمج هذه غير ممكنة في نظره . ولذلك يرى أن للدين مباديء واصولاً خاصة ، وأن للفلسفة كذلك مباديء واصولاً خاصة ، الشيء الذي ينتج حتماً اختلاف البناء الديني عن البناء الفلسفي .

يتفق ابن رشد مع استاذه وصديقه ابن طفيل القائل بأن للدين والفلسفة نهاية واحدة هي معرفة الخير المطلق الا أن لهذه المعرفة طريقين : أحدهما طريق الفعل و هو طبيعي و صريح وواضح ، والاخر طريق الوحي الذي جاء مصحوباً بالرموز والامثال . وإذا كان الانبياء والرسل قد اعتمدوا على الرموز الحسية في تبليغ رسالاتهم فمرد ذلك الى ان معظم الناس عاجزون عن ادراك الحقائق المجردة البعيدة عن الحس والخيال . واذا كان ثمة خلاف بين الظاهر والباطن امكن رفعه بطريق التأويل وقد أدت محاولة ابن رشد ( الفصل بين الدين والعقل ) الى ايجاد مكونات أربعة وهي :

**المكون الاول ( الانساني ) :** وهذا المكون يؤكد انسانية الانسان وكرامته وأثره في تشكيل بيئته .

**المكون الثاني ( الانسانية ) :** الذي يؤكد أهمية الانفتاح على ثقافات وفلسفات العالم المختلفة واجراء الحوار معها ، وهنا تبرز مفاهيم الاخاء والمساواة والتعاون من طريق هذه الدعوة على الانفتاح على ما عدا الامم الاسبق بالطبع .

**المكون الثالث التسامح الفكري :** وهذا المكون قريب جداً من بدئ العلم الذي يؤكد ضرورة الاخذ بالعلم وأساليبه ، وذلك من طريق المطالبة بالتسامح الفكري ، فلا تعادي علماً من العلوم ولا تهجر كتاباً من الكتب ولا تتعصب لمذهب من المذاهب ، ولا تأخذ العلم من اي واحد كان بغض النظر عن الزمان والمكان .

**المكون الرابع ( الحوار والمناقشة ) :** الترحيب بالاختلافات الفكرية والمعتقدية في وجهة من وجوه التعبير عن الحياة المتحضرة اللازمة لصلاح المجتمع الانساني .

# الأساليب التربوية عند ابن رشد

## تعلم الاخلاق والتربية بالطرائق الاتية :

١. **الموسيقى :** تهذيب الفضائل وتحصيلها ، ويعني بالموسيقى الاقاويل المحكية التي يرافقها اللحن ، والتي يحل بها لا هل المدينة وتهذيبهم . والغرض من مرافقة اللحن بها ان تكون اقوى اثراً واكثر تحريكاً لنفوسهم لان صناعة الموسيقى كما قيل عنها خادمة لصناعة الشعر ومعبرة عن اغراضه .

٢. **الرياضة لاكساب الجسم وتربيته وفضيلته ( الصحة ) :** والموسيقى اسبق في الزمان لان قوة الفهم أسبق من قوة ترويض الجسم .

٣. **الاقاويل النظرية :** اقاويل برهانية واقاويل جدلية وخطابية وشعرية والاقاويل الشعرية أخص الصبيان ، فان كبروا كان منهم من يصلح لان يرتقي الى مرتبة اعلى من التعلم بهم ذلك الى أن يبرز من هو قادر بالطبع على تحصيل البرهانية ، وهم الفلاسفة . اما الذين ليسوا بالطبع كذلك فيبقون في المرتبة التي لا يسمح لهم طبعهم بتجاوز ها ، أما بالاقاويل الجدلية واما بالطريقتين المشتركتين في تعليم الجمهور ، وهي الاقاويل الخطابية والشعرية الا ان الشعرية اكثر شيوعاً واخص بالصبيان . اما الأقاويل النظرية فيختص بها على الاغلب نظر في العلم الالهي او نظر في ما يظن به في غاية البيان عند الانسان .

٤. **الاقاويل العملية :** وهي ايضاً من الامور التي تبينت في هذا العلم والتمثيل والمحاكاة منه القريب البعيد ومنه الكاذب والصادق . فالكاذب كان يمثل صورة انسان بصورة ثور، وكذلك ينبغي ان يبعد منها التمثيل البعيد مبدأ الاستطاعة ، أما التمثيل القريب فهو الذي ينبغي اللجوء اليه .

٥. **تجنب المحاكاة القبيحة :** يقول ابن رشد ( لقد تبين في العلوم النظرية ان في التمثيل القبيح ما جرى مجرى العادة عند الناس ، اذ يقولون ان الله هو علة الخير والشر معاً ، في حين هو الخير المطلق لا يفعل الشر في أي وقت ولا هو علة له " .

٦. **عدم تمثيل السعادة بالذات الحسية :** من التمثيل القبيح للسعادة في أنها جزاء على الافعال التي يتوصل بها عادة الى السعادة : وثواب على ترك الافعال التي لا تؤدي سبيلها الى السعادة وعدم الشقاء عقاباً على ترك الافعال الصالحة والاتيان بالافعال الطالحة ، لان الفضائل الحاصلة من مثل هذا النوع من التمثيل هو اقرب الى ان تكون رذائل من ان تكون فضائل ، لان العفيف يفهم انما يتجنب اللذات رجاء الحصول على لذات اعظم منها ، ومثل ذلك الشجاع الذي يكون شجاعاً لأنه يرى الموت خيراً وانما لكونه يخشى اعظم منه .

٧. **نصائح ابن رشد التربوية :**

أ. يجب ان نجنب الاطفال اشعار الغزل فلا يسمعونها.

ب. ينبغي ان لا يستغرقوا في الضحك.

ت. ينبغي ان يحث الحفظة على الصدق وان يحرصوا عليه.

ث. لايحزن اصلا لوفاة قريب له كائن من كان هذا الفقيد محبوبا او صاحبا او نسيبا.

ج . اجتناب الاقاويل المحركة الى اللذات .

ح. الا يصغوا الى الاقاويل التي تحث على الكسب وجمع المال.

# اركان العملية التربوية عند ابن رشد

١. تعامل أبن رشد على نحو عقلاني مع الانسان على صعيدين : الأول موضوعي والثاني اخلاقي . فعلى الصعيد الموضوعي فهم الانسان فهماً مثنوياً بعده جسداً وروحاً ، ثم ثنائية اخرى وهي حواس ونفس . وهناك ازدواجية بين النفس والعقل ، وحصر امكانيات المعرفة في العقل واتخاذ النفس مركباً الا ما يستطيع العقل ان يتعلمه .

**٢. أكد ابن رشد على الفروق الفردية ، وذلك من خلال نظريته الاتصال بالعقل المستفاد والمنبثق . فاقصى درجات الكمال هو امكانية الاتصال بالعقل العام ، اذ يختلف باختلاف الافراد ومرجعه ثلاث قوى : الاولى : قوة العقل الهيلولي الاصيل وأساسها قوة الخيال ، والثانية : كما في العقل بالملكة ويقتضي بذل جهوده في التفكير ، الثالثة : الالهام وهو معونة ربانية تصدر من فضل الله .**

٣. ان نظرية ابن رشد تنطلق من :

أ. احترام خصائص الاسلوب العربي الإسلامي .

ب. مراعاة المستوى المعرفي ولذلك وجب مخاطبة الناس بحسب عقولهم .

٤. **التدرج في التعليم :** أكد ابن رشد التدرج في التعليم ، لذلك وضع منهجاً ابتدأ فيه بعلم الاعداد والحساب ، و هو علم لا يستغنى عنه علم اخر ويمتزج بكل علم ، ثم يبدأ بتعليمهم الهندسة ، فعلم الفلك والموسيقى . وعند بلوغ السادسة عشر والسابعة عشر يقبلون على تعلم الفروسية حتى سن العشرين اذ ينبغي تعلم الفلسفة .

٥. **الاصرار على تعليم المرأة :** اهتم ابن رشد بتعليم المرأة .

٦. أهتم بطريقة القاء محاضراته : **كانت دروسه تمتاز بالحيوية والنشاط ، اذ كان يكثر من انشاد الشواهد من شعر ابي تمام والمتنبي ، وكان يكثر من ايراد الحكايات والاخبار تنشيطاً للطلبة .**

٧. للعلم عنده خمس مراتب : أولها ان تنصت وتستمع فتفهم ما تسمع ، وان تحفظ ما تفهم ثم ان تعلم ما تعلم ، ثم اخلاص النية لله تعالى في طلب العلم ، ثم الحث على طلب العلم ، ثم الرحلة والانفاق في طلب العلم .